المرأة

بين الأرض والسماء

دراسة ميثولوجية - إجتماعية - مقارنة

عبد المالك أبو رقطي

نينوى

المـــرأة
بين الأرض والسـمـاء

دراسة ميثولوجية - اجتماعية - مقارنة

اسم الكتاب: المرأة بين الأرض والسماء

دراسة ميثولوجية - اجتماعية - مقارنة

اسم المؤلف: عبد المالك أبو رقطي

© جميع الحقوق محفوظة

© copyright ninawa

١٠٠٠/٢٠٠٩م - ١٤٢٩هـ

دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - ص ب ٤٦٥٠

فاكس: ٢٣٢٢٥٤٠ ١١ ٩٦٣ + هاتف: ٢٣٢٦٩٨٥ ١١ ٩٦٣ +

مستودع: ٥١٣٦٥٢٦ ١١ ٩٦٣ + موبايل: ٠٠٩٦٣٩٣٣٤٤٩٧٣٤

E-mail:ninawa@scs-net.org

ninawa@ninawa.org

www.ninawa.org

العمليات الفنية: التنضيد والإخراج و تصميم الغلاف والطباعة

مطبعة دار نينوى - القسم الفني

القياس ١٤,٥ × ٢١,٥

عدد الصفحات: ١٩٢

لوحة الغلاف: صورة فوتوغرافية

- لا يجوز نقل أو اقتباس، أو ترجمة، أي جزء من هذا الكتاب؛ بأية وسيلة كانت، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

عبد المالك أبو رقطي

المــــرأة
بين الأرض والسماء

دراسة ميثولوجية - اجتماعية - مقارنة

تقديم

الحمد لله الذي أرسل محمدا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وحبيبنا وقائدنا ورسولنا الكريم، الذي كرمنا الله به وهدانا إلى الإسلام وجمع بين الرجال والنساء على سنته وجعل بينهم مودة ورحمة.وصلى الله على آل بيته وصحبه مصابيح الهدى ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: لاشك أن الحديث عن المرأة وسط بحر يلّج بأخبار الرجال، وحياتهم يتطلب الغوص في مكنونات كتب تاريخية وأدبية متعددة الجوانب لكتاب معاصرين وغير معاصرين. لكن هذا العمل وما يواجهه من ضغوط وجهد يهون أمام الإيمان بأن هذا المخلوق الذي وصفته المجامع الغربيّة بالشيطان وكرمه الإسلام بقول النبي (ص): (ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم). هذا المخلوق هو الأساس الذي لا يرتقي مجتمع إلا به، ولا بدّ من أن يعطى بعضا من حقه الذي هضم على مر الزمان.

فإذا كانت المرأة ما زالت تعاني من نظرة الريبة والشك لما حملته إليها العادات والتقاليد البالية حيث وجدت نفسها ضحية صامتة غير قادرة عن التعبير عما يجول في نفسها من حقوق. وربما في كثير من

الأحيان كانت تسهم بقدر وافر بالرضوخ إلى سيطرة الرجل، مما يجعله الناطق باسمها لصالحه، وبما يحقق رغباته ومصالحه، متنازلة عن كل ما حققته عبر القرون من صفحات مشرقة وما أنجبته من قادة عظام، وما أبدعته من إنجازات لايمكن لأي قوة أن تخفيها.

لقد جمعت باحثا على هذه الصفحات مكانة المرأة في العصور السالفة منذ العصور الحجرية إلى عصورنا الحالية بنوع من الإيجاز متطرقا إلى مكانة المرأة في تلك العصور البدائية والقديمة – والنظرة إلى الجمال في عدد من الحضارات – والنظرة إلى تعدد الزوجات في الكتب السماوية. وجعلت فصلاً لمكانة المرأة في الديانات السماوية، وآخر لمكانة المرأة في الإسلام بنوع من التفصيل. حيث وجدت أن المرأة في الإسلام قد منحت ما تستحق من التكريم والمساواة بالرجل، وبغض النظر عما يتصرفه بعض الناس الذين انحرفوا بأهوائهم في معاملة النساء تحت ستار الدين. فالدين واضح للجميع وما ليس من الدين لا يجوز أن يعلّق على مشجب الدين.

كما خصصت بحثاً لواقع المرأة في المجتمع العربي، متضمناً ما تعانيه المرأة تنموياً وجسدياً وعقائدياً. ثم أتبعته باستبانة حول بعض المشكلات التي تعانيها المرأة في دراسة وتحليل. مختتماً البحث بنظرة ونصائح للمرأة لتقرّ عينيها بالفضائل التي منحها الله تعالى لها.

لقد وجدت في المرأة هامة الهمم، وشعلة مضيئة للبناء، تقدم نفسها، وزوجها، وأولادها كي تحيا حرّة سعيدة تظل الجميع بجناحيها بأمنها وحنانها.

لقد اعتمدت في رحلتي هذه، على كثير من المصادر والمراجع وإلى

آراء بعض السادة العلماء من رجال الدين الإسلامي والمسيحي جزاهم الله خيراً، مما كان لهم الفضل في تزويدي بالنظرة والرأي والحكم الشرعي. وان أغفلت دون قصد إشارة تنصيص أو ذكر مرجع فلا يعني ذلك تجاهلا أو نسباً لي في غير محله.

ومهما يكن من أمر في الضرورة إلى تحديث القوانين والنظرة إلى المرأة، فلا بدّمن الإسراع في إعطاء المرأة دورها كاملاً في التربية والتعليم والاقتصاد والسياسة والأدب والحقوق والواجبات وغيرها لتدخل إلى القرن الحادي والعشرين في مجتمع متكامل قادر على مواجهة تحديات الزمن والمرحلة القادمة. وإذا أرادت المرأة ذلك فعليها أن تأخذ ذلك بمنحى الجد بعيدة عن التقليد الأعمى الذي يجعل منها جسدا بروح شيطانية كما يزعم الغرب دون التخلي عن رقتها وأنوثتها وقوتها وحنانها وعطفها وعطائها.

مكانة المرأة
في العصور القديمة

التحولات التاريخية

الاعتقادات الدينية

التحول في الاعتقادات الدينية

التحولات التاريخيّة:

منذ أن وجد الإنسان على هذا الكون، كان في صراع مع الطبيعة التي يجهلها، وهو يجد نفسه كائنا مختلفا في شكله وتصرفاته عن عالم الحيوان الذي حاول أن يتطبع معه في الحياة وأشكالها. وكثيراً ما كانت تصرفاته تتوافق مع كينونة الطبيعة، وبقي الإنسان في نضال دؤوب طوال آلاف السنين حيث مّر تاريخه بتحولات مميزة سميت فيما بعد بالعصور التاريخية.

لقد بدأ الإنسان يدرك ذاته، حيث دلت الآثار التاريخية على بعض ثقافاته وأوانيه الحجرية التي كان يستخدمها قبل أن ينتقل إلى حالة الاستقرار من بناء للكهوف، والتوافق مع الحيوانات بتدجينها. ثم بدأ يكتشف الزراعة رويدا رويدا فانتقل من معرفة ذاته إلى معرفة مصيره. مما ترك ثقافة اجتماعية ودينية سميت فيما بعد بالثقافة "النيوليتية" لينتهي هذا العصر بعصر جديد أبدع فيه الإنسان بصناعة الفخار.

في هذا العصر وصل الإنسان إلى مرحلة الفن التشكيلي كما سمي فيما بعد .والآثار التاريخية تدل على إبداع أدى إلى ظهور حضارات جديدة في وادي الرافدين كالحضارة السومرية التي ظهرت معها تاريخ الإنسان المكتوب . فنشأ عصر المدن الذي ما زال مستمراً إلى الآن .

من خلال هذا العصر كانت التحولات التي غيرت العالم كما

حدث في القرن التاسع عشر بظهور انقلاب جديد في كل أساليب الإنتاج وهو ما سمي فيما بعد بالثورة الصناعية.

من هذا التقديم يتبين أنه إذا أردنا أن نعرف الإنسان عبر التاريخ فلا بد من التعرف على تصوراته وقيمه، التي كانت تصب في معتقداته. فمنذ أن صنع أدواته صنع معها آلهته، وما أن عاش الكهوف وبنى الأعشاش والبيوت والقرى، حتى أوجد معها معابده. فالديانات الأولى هي ديانات زراعية لها طقوسها ومعتقداتها وجعل للطبيعة" آلهته" والأسطورة الأولى كما تقول المراجع أسطورة زراعية تتركز حول آلهة واحدة هي " سيدة الطبيعة "حيث كانت تتربع على عرش الكون. وكانت المرأة كاهنة الأم الكبرى حيث كانت الكهانة حصرا على النساء.

الاعتقادات الدينيّة:

ومنذ أن خلق الله آدم، وخلق معه حواء، خلق فيها شفافية وروحانية وإحساساً تحلق فيه بالمجهول. فظل الرجل خاضعا للمرأة ، وظلت المرأة سببا في اقتتال الرجال منذ بداية هذا الكون وربما إلى نهايته. وكانت البداية في اقتتال هابيل وقابيل. واستمر الحال إلى ما نحن عليه وما سيكون في المستقبل.

وإذا عدنا إلى ذلك العصر نرى أن الرجل ظل منقاداً للمرأة ما دامت متمسكة بمفاتيح القوى الخارجية، وبعالم الأرواح والغيب والمجهول. وربما كان بعض الرجال يلعبون دوراً مساعداً للمرأة لمصالحهم الخاصة، بينما عملت المرأة على توجيه عقل الرجل بطبيعته القوية إلى العالم المادي، وبالتالي قادته إلى عالم الروح الواسع الذي اكتشفته

قبله.

لقد رعت المرأة الرجل ولم تبتعد عنه، فلم يكونا شبحين بلا ظل، وإنما كانا يعيشان حياة مليئة بسعادة الجسد وسمو الروح التي لا تدرك إلا بولادتها في الجسد. فكانت الآلهة لا تبتعد عن ابنها الذي دعي بعصور الكتابة "بتموز، أو أدونيس" في حين كانت المعابد تمتلىء بالآلهة وأبنائها والتي كانت تظهر بصور عدة كأم تضم طفلها أو امرأة حبلى أو عارية الصدر أو تمسك ثدييها بكفيها في وضع عطاء أو ترفع بيدها باقة من سنابل القمح أو معتلية ظهور الحيوانات الكاسرة.[1]

لقد كانت المرأة في العصر الحجري موضع حب وخوف. من رحمها ينشأ خلق جديد، ومن صدرها غذاء وعطاء وحنان، وهي تعطي لأطفالها ما تعطي الأرض لجميع المخلوقات. فهي سر هذا الكون. ووراء كل امرأة قوى كبرى لا يستطيع الرجل أن يقاومها. ترتبط بكوامن مجهولة مرتبطة بأسرار كونية هي منشأ الأشياء ومردها.

التحول في الاعتقادات الدينيّة:

غير أن هذه الاعتقادات الدينية الحجرية قد تزعزعت بظهور عصر المدنية، ونشوء التنظيمات الاجتماعية المختلفة وانتقال السلطة إلى الرجل وظهور الهرم الملكي والطبقي الذي قام على أنقاض عصر الزراعة. في (سومر) تم تشكيل هيئة كبرى للآلهة يتزعمها الإله الأكبر (آ ن) إله السماء وغالباً ما يكون الملك، وانحدرت الآلهة

---

١ ـ مجلة المعرفة العدد ٣٢٦.

الكبرى إلى أحد الآلهة في هذه الهيئة بدلا عما كانت عليه. غير أن هذا التحول في المعتقدات الدينية لم يكن إلا على المستوى الرسمي. أما على النطاق الشعبي فبقيت مكانة الآلهة الكبرى هي الأساس يتجهون ويلجؤون إليها عند الشدائد، وما تعبدهم للآلهة الذكور إلا تعبد خوف، وتعبدهم للأم الكبرى تعبد محبة.

وكانت الآلهة متعددة الأسماء والأشكال إلا أنها كما تقول الروايات في عصر الكتابة كانت واحدة قولاً وعملاً فكانت تسمى في:

فرجينيا بآسيا الصغرى (سيبيل).

وفي روما (سيريس) و(ديانا) و(فينوس).

وفي الهند(كالي).

وفي حضارة السلت الأوروبية(دانو وبريجيت).

وفي كنعان (عناة وعشتارت)

وفي مصر(نوت، وإيزيس، وستحمت).

وها هي إيزيس تقول عن نفسها في أحد النصوص من الفترة الرومانية "أنا أم الأشياء جميعاً، سيدة العناصر، وبادئة العوالم، حاكمة في السماوات من فوق ، وما في الجحيم من تحت، مركز القوة الربانية، أنا القوة الكامنة وراء الآلهة والآلهات، عندي يجتمعون في شكل واحد وهيئة واحدة." [1]

هي أصل الكون مبدأ الأشياء، ربة الحياة، وخصب الطبيعة، هي الهلاك والدمار وربة الحرب، وفي الليل عاشقة، وفي النهار مقاتلة

---

١ ـ قصة الحضارة.

ترعى المواقع وتفشي المذابح. هي الأم الرؤوم الحانية راعية الحوامل والمرضعات الحاضرة أبداً قرب سرير الميلاد.

هي البوابة المظلمة الفاغرة لالتهام جثث البشر. هي ربة الجنس، وهي من يسلب الرجال ذكورتهم. هي القمر المنير. هي كوكب الزهرة. هي النور ورمزها الشعلة الأبدية.

هي العتم والظلمة وما يخفى. هي القاتلة. هي الشافية. هي العذراء الأبدية، هي الأم المنجبة. هي البتول وهي البغى المقدسة.

هي ربة الحكمة، وهي سيدة الجنون التقت عندها المتناقضات وتصالحت المتنافرات".[1]

---

١ - المصدر السابق.

مكانة المرأة
عند الشعوب البدائية

النظرة إلى المرأة
الأخلاق والمرأة

النظرة إلى المرأة:

لما كان المجتمع يستحيل تشكيله بدون عنصرين أساسيين هما الرجل و المرأة، فلا بدّ من تنظيم العلاقة بينهما. إما أن تكون غريزية تختلف من جماعة إلى أخرى، وأما أن تكون قواعد يتفق عليها الناس، وهي تعبر عن صور سلوكه رأى فيها الناس منفعة لهم في حياتهم. ومع أن هذه القواعد لم تعرف مكتوبة لتنظم كل جوانب الحياة، فإنها خلعت على المجتمعات طبيعة لم نعد نتجاوزها. وربما في كثير من الأحيان أصبحت هوية تدل على صاحبها.

وبما أن الإنسان البدائي تصور عالماً من الأرواح يجهل منشأها، فقد بذل جهده على استرضاء هذه الأرواح، وبذل ما في وسعه من أمور روحانية هي أشبه ما تكون بالسحر جعلها أساساً لستائر عبادته البدائية.

كما اعتمد على طرائق الإيحاء بالتمثيل وهو ما كان يسمى (بالسحر التمثيلي) وهو أول الطرائق التي كسب بها الإنسان معونة الأرواح والآلهة.

إذا أصيبت الأرض بالجفاف كانوا يرسلون مبشرا إلى الحقول، ليفتح مظلته. وإذا أصيبت امرأة بعقم تضع صورة طفل على حجرها راجية أن تلد مثله، وإذا أرادت أن تتزوج تصنع عروساً من قطن أحمر، وإذا أراد الساحر أن يخفف من آلام الوضع يقوم نفسه بحركات

الوضع ليعطي القوة إلى الجنين. "وبعض الشعوب تختار ملكا وملكةً للربيع وتزوجهما في حقل علني لعل التربة تصغي إلى الحفل ومغزاه فتسرع إلى أزهار النبات. وتقام الأعياد الخاصة فيختلط الجنسان اختلاطاً بغير ضابط، وهي عادة تقام في فصل البذار والغاية إخصاب زوجات من بهم عقم من الرجال".

إن أعياد الحصاد شبيهة خصائصها بأعياد (باخوس) عند اليونان. فانه يستحيل على أي إنسان يشاهدها دون أن يأخذه الخجل، فإنهم يغرون أي زائر يقف ليشاهد حفلهم لينغمس معهم في إباحتهم. عندها لا يبقى أحد دون أن يقع في الزنا الذين لا ينظرون إليه أي نظرة فيها معنى للبشاعة التي تحيط بهم.

وما الأعياد في عصور المدنية في روما وفرنسا وإنكلترا في العصور الوسطى وسائر الاحتفالات في عصرنا الحاضر إلا امتداد للأعياد الإباحية القديمة.

وكلما تقدمت المجتمعات البدائية بعض الشيء وضعت بعض المحرمات واصفة إياها تارة بالمقدسة وتارة أخرى بالنجاسة .وكانت المرأة أهم ما اتجه إليه التحريم. فنشأت القصص والخرافات لتجعل من المرأة مخلوقاً محرماً نجساً خطرا وقد اعتقدوا أن المرأة هي أساس الشر كله. مما كانت تضطر إلى أن تحفر الأرض حول الكوخ أو الخيمة لتلتقط ما عساها أن تجده من جذور أو حبوب لتأكله مع أطفالها. فإذا كان الصيد مهنة الرجال فان الحرث مهنة النساء، وهي المكلفة بحمل المتاع والأثقال. إذ لم يكن النظر إلى المرأة كأم، أو كمنزلة الرجل الذي كان يقتصر دوره على الصيد أو الدفاع. أما

المرأة فشأنها شأن صنوف الحيوانات التي تناديها الطبيعة. وما العلاقة بين الرجل والمرأة إلا كحيوانين يطلب فيها العشير عشيره دون أن يحلل هذه العلاقة أو يدرس أسبابها ونتائجها، وما الحمل عندهم إلا لاعتقادهم بدخول أشباح إلى جوف المرأة.

أمثلة من الشعوب:

أما أهالي (ماليزيا) فإنهم يعتقدون أن حمل المرأة ناتج عن لون الطعام الذي تتناوله، ولا علاقة للأمور الفسيولوجية أو الجنسية عند الرجل والمرأة. ولهذا لم يكن من الأهمية معرفة والد الطفل. فالمرأة لا تنتمي إلى الزوج بل إلى الأب والأخ والقبيلة، لهذا كانت علاقة المرأة بأخيها أو بأبيها أقوى من علاقتها بزوجها، وربما كان الزوج يزور زوجته متستراً.

أما في شعوب (بابوا) فلا يجوز أن يجتمع رجل بامرأة. حتى ولو كانت زوجته. أما في (تاهيتي) فلا توجد هناك ما تسمى بالحياة العائلية. ولهذا فإن العلاقات تميل إلى السرية وهي مهرب للرجال فراراً من المرأة. وهذه العلاقات لها ما يشابهها في عصرنا الحاضر، وإن اختلفت في صورها.

فالأنساب في هذه الحالات يقتفي أثرها من جانب المرأة . والتوريث يكون عن طريق المرأة، حتى حق العرش يورث عن طريق الأم. فالمرأة تورِّث ولا تتوارث رغم نفوذها، وأهميتها في التصرف في الطعام وحاجة الرجل إليها في كثير من الأحيان وقدرتها على رفضه.

وعلى الرغم من الظلم الذي كان يحيق بها في كثير من الأحيان، إلا أنها كانت تتمتع بحالات نادرة في السيطرة إذ كان لنساء

هنود (سنكا) قوة عظيمة قد تبلغ حق اختيار الرئيس.

لقد وصلت منزلة المرأة في المجتمعات البدائية ومجتمعات الصيد إلى مرحلة أقرب ما تكون بالرق ، فعجزها الذي يعاودها مع الحيض، والحمل والرضاعة، وعدم التدرب على القتال جعل منها منزلة متدنية. حتى كن يستخدمن كخادمات وحاملات للأثقال . فالمرأة في تلك العصور لم تكن كالمرأة اليوم. بل كانت مساوية للرجل في طول القامة والقدرة على تحمل الصعاب والشجاعة. إذ لم تكن بعد قد أصبحت مجرد زينة أو تحفة أو لعبة جنسية. بل كانت قوية البنية قادرة على الدفاع عن بيتها وأطفالها لدرجة الموت وقد لخصها رئيس قبيلة (تشبوا) بقوله: (خلقت النساء للعمل، فالواحدة منهن في وسعها أن تجر من الأثقال ما لا يستطيعه رجلان. وهن يقمن لنا الخيام، ويصنعن الملابس ويصلحنها، ويدفئننا في الليل .إنه ليستحيل علينا أن نرحل بغيرهن. فهن يعملن كل شيء ولا يكلفن إلا قليلاً، لأنهن مادمن يقمن بالطهي دائماً فإنهن يقنعن في السنين العجاف بلعق أصابعهن).

لقد استطاعت المرأة أن تروض الرجل، كما روضت الحيوانات الأخرى. إلا أن الرجل استطاع استخدام الحيوانات التي روضتها المرأة مما جعله يسخرها في أموره الاقتصادية. وبالتالي استطاع أن يخضع المرأة له خضوعاً تاماً. إ ذ بدأت ملكية التوريث عن طريق الرجل، وبدأ حق الأمومة ينحدر أمام الأبوة، وانقلبت الآلهة من نساء إلى رجال، وبدأت النساء تحيط بهم.

هذا الخضوع الأبوي قضى على مكانة المرأة. إذ كانت المرأة في

فيجي والهند وجزر سليمان تشنق وتدفن مع زوجها ، أو يطلب إليها أن تنتحر لتقوم على خدمته في الحياة الآخرة.

لقد أصبح من حق الوالد أن يعامل زوجاته وبناته كما يشاء . فيهب ويبيع ويعير، وله الحق في الاتصال الجنسي خارج داره. أما المرأة فطلب منها العفة التامة قبل الزواج وبعده.

ففي روسيا كان الأب عند زواج ابنته يضربها ضرباً رقيقاً ثم يعطي السوط للزوج ليدل بذلك على أن ضربها قد أنيط به منذ هذا اليوم.

لقد كانت حياة المرأة أقل ثمناً من حياة الرجل إنسانيا. فالنساء في جزر فيجي لا تعادل ثمن الواحدة منهن ثمن بندقية. وفي بعض القبائل لا يجوز أن ينام الرجل وزوجته في بيت واحد ، إذ تنام المرأة في الحظيرة والرجل في الدار. بينما يسمح للكلاب بدخول المعابد ولا يسمح للنساء. أما في بعض القبائل الهندية فالمرأة جزء من الأملاك تورث جنباً إلى جنب مع الحيوان الداجن. أما في إفريقية فلا تختلف المرأة عن الرقيق إلا كونه مصدراً للمتعة إلى جانب النفع الاقتصادي. إذ كان الرجل يشتري ما يستطيع شراؤه من النساء ليكن له ضمان الحياة حتى مماته. فبقدر ما يحوز من الزوجات يظل مستريحاً ما بقي في الحياة من عناء التعب والعمل، وعليهن العمل كله.

الأخلاق والمرأة:

كانت الأخلاق نظاماً يفيد المجتمعات بشكل يختلف من مجتمع إلى آخر. ولم تكن الأخلاق معنية فقط بالنواحي الاجتماعية أو الإنسانية بل محورها يدور حول العلاقة الجنسية والزواج. فالعلاقات

الجنسية لم تكن مباحة بشكل مطلق حتى عند الحيوان. وربما كان الحيوان في كثير من الحالات أكثر غيرة من الإنسان على جنسه الآخر. فالحيوانات تستثار شهوتها في أشهر محددة من السنة، وحتى هي ليست مباحة لجميع الذكور. بخلاف الإنسان الذي يقول فيه (بوما رشيه): «يأكل بغير جوع ويشرب بغير ظمأ ويتصل بالجنس الآخر في كل فصول السنة».

إلا إنك تجد في الشعوب البدائية ما يشبه قيود الحيوان. فلا تحرم النساء إلا في أوقات حيضهن. وتبقى في جميع أيام السنة مباحة. وهذا يعني أن الاتصال الجنسي قبل الزواج كان طليقاً مباحاً، ولا يعد اتصال الشباب بالشابات قبل الزواج عائقاً له بل قاعدة له كما في شعوب (السويوت وسيبريا وغيرها). فالمرأة إذا حملت قبل زواجها كان ذلك عوناً لها على الزواج وبراءة لها على عدم عقمها.

لقد كانوا ينظرون إلى الفتاة البكر بأنها قبيحة مما جعلت الشباب ينفرون منها . وتتحمل أمها وزرها وكثيراً ما كانت اللعنات تلحق بالأم. مما حدا بكثير من الفتيات إلى الجلوس في الطرقات لدعوة الشباب إليهن بطرق شتى لفض عفتهن. بل أن في بعض جزر الفلبين قد خصصوا رجلاً مهمته أن يؤدي هذا العمل نيابة عمن اعتزموا على الزواج من الرجال.

فالعهر في هذه المجتمعات ليس موجوداً، لكونه ظاهرة عامة. لا تحتاج إلى مهنة أو لقب.

ولما ظهرت الملكية، وسيطر الرجل. بدأت تظهر ظاهرة العفة. وأصبحت امتداداً للشعور بالملك تجاه الزوجة، بعد أن أصبحت الأسرة

أبوية. وأصبح مهر الفتاة البكر أغلى من الفتاة التي ضعفت إرادتها. مما يدل على أمانتها وإخلاصها لعفتها، وبالتالي ستكون مخلصة لزوجها بعد الزواج.

هذا الحرص على العفة دفع بكثير من الشعوب إلى التشديد بمعاقبة من تخلّ بهذه النظم إلى درجة الموت .كما في قبيلة (توارج) بينما في جنوب النيل تجدهم يضعون حلقات وأقفال على أعضاء التناسل تمنع من أداء العملية الجنسية.. أما في بريطانيا الجديدة فإنهم يحجزون بناتهم خلال الخمس سنوات الخطرة في أكواخ يقمن عليهن حارسات من العجائز الفضليات.

إلا أن هناك قبائل لا يأخذها الحياء من ترك أجسادها عارية . لا بل أن بعضها ليخجله لبس الثياب. فملكة بالوندا ظهرت عارية من قمة رأسها إلى أخمص قدميها حين عقدت مجلسها من أجل (لفنجستون). وهنك قبائل لا تلبس المرأة ثياباً إلا بعد زواجها علامة على حيازة زوجها لها حيازة تامة.

فالرجل البدائي لا يوافق على أن الثياب تشجع على الدعارة. فالعفة ليست متصلة بالثياب صلة ضرورية .وإنما متصلة بالأخلاق والإرادة.

لقد شعرت المرأة بالحياء عندما أحست أنها محرمة أيام حيضها. وكذلك حين قام نظام الزواج بالشراء إذ أصبحت عفتها تدرّ أرباحاً على أبيها، مما اضطر إلى عزلها احتفاظا لعفتها وربحه.

فالأخلاق في المجتمع تعتمد على أساس التحريم الاجتماعي، والتقاليد التي تسود المجتمع.

في الصين مثلاً كانت المرأة وإلى عهد قريب يخجلها أن تعري

قدميها. والعربية يخجلها أن تعري وجهها و المرأة في قبيلة (تاروج) يخجلها أن تبدي فمها . في حين أن النساء في مصر القديمة والهند في القرن التاسع عشر لم يخجلن أبداً أن يكشفن عن أثدائهن.

فالأخلاق كانت وما زالت نسبية ، لكنها ضرورة لاغنى عنها. ومع هذا ظل البدائي يزاول أموره الجنسية بروح بهيمية، لا يكاد يزيد عن الحيوان في شيء، ولا يفكر في الأمر بينه وبين نفسه. ولا يسمو بعاطفته، بل هي حاجة عنده كالغذاء. لم يكن إلى قدسية الزواج، ولم يكن يحتفل به، ولا يخضع نفسه لاعتبارات في اختيار زوجته. لكونه ينظر إلى الزوجة كتعاون اقتصادي يدرّ عليه ربحاً وفيراً أكثر مما يكون وحده.

مكانة المرأة
في المعتقدات والحضارات

في عهد الفراعنة

في الشرائع الفارسية

في الشريعة السومرية

في الحضارة الفينيقية

في الحضارة البابلية

في الحضارة الأثينية

في الحضارة اليونانية القديمة

عند العرب

المرأة عند الغرب

المرأة في المعتقدات الهندية ـ الهندوسية والبوذيّة

مكانة المرأة في عهد الفراعنة

كانت المرأة في وادي النيل تتمتع بمكانة عالية لا مثيل لها من قبل. على الرغم من عادة الزواج بالأخوات. وكان لفظ أخ أو أخت يعني حبيب أو حبيبة. هذه العادة كانت واضحة وخاصة في القصور الملكية. إذ كان الملك يتزوج أخته أو ابنته ليحتفظ بالدم الملكي نقياً خالصاً من الشوائب. إلا أن عامة الشعب كان يقتصر في زواجه على واحدة يخلص لها الرجل إخلاصا شديدا لا مثيل له . وكان الطلاق نادراً. وفي قدرة الرجل أن يخرج زوجته من بيته إذا زنت دون تعويض. بل كان يعوضها بالشيء الكثير إذا كان الطلاق بدون سبب.

وقد أورد علماء التاريخ في مصادرهم الشيء الكثير عن المرأة المصرية وحريتها في البيع والشراء والتجارة دون رقيب. وهذا لم يكن يتواجد عند شعوب أخرى . وكانت سلطة المرأة واضحة على الرجل وما زالت. إذ كان عقد الزواج في العهود المتأخرة يتنازل فيه الرجل لزوجته عن جميع أملاكه ومكاسبه المستقبلية . وما زالت العصمة بيد المرأة المصرية إلى يومنا هذا.

إلا أن زواج الأخت لم يكن بسبب العشق أو الحب. وإنما بسبب الاستمتاع بميراث الأسرة الذي كان ينحدر من الأم إلى البنت، ولا يريدون أن ينعم الغرباء بهذه الثروة. ولعل سيطرة الأم هي التي جعلت

قتل الأطفال أمرا نادراً. حيث كان القانون يقضي على الأب الذي يقتل طفله أن يحتضنه ثلاثة أيام وثلاث ليال كاملة.

وفي مسائل الحب والزواج. كانت المرأة هي المبادرة في الحب والعشق والخطبة. فكانت تتقدم إلى الرجل مباشرة، وهي التي تعرض عليه الزواج صراحة. ولم يكن يعنيهم في شيء أن يتكلموا في الأمور الجنسية صراحة. فكانوا يزينون هياكلهم بصور ونقوش قليلة لبروز تظهر فيها أجزاء الجسم كلها فاضحة أتم وضوح.

وكانوا يقدمون لموتاهم من الأدب الفاحش، ما يسليهم في قبورهم. من أجل ذلك كان دم وادي النيل دماً حاراً. فكانت البنات يصلحن للزواج في سن العاشرة. وكان اتصال الفتيان بالفتيات قبل الزواج حراً ميسراً. وكانت الفتيات الراقصات يقدمن من ضروب الرقص بثياب شبه عارية ضروباً من التسلية والمتعة الجسمية.

وكان من العادات المتبعة أن تختار أجمل فتيات الأسر الشريفة في طيبة وتنذر لآمون . فإذا أصبحت عاجزة عن الخدمة أخرجت بمظاهر التشريف والتفخيم لتتزوج في أرقى الأوساط.

مكانة المرأة في الشرائع الفارسيّة

لقد كانت الشرائع الفارسية صارمة في عقاب الجسد. إذ كانت المرأة المتزوجة تفضّل عن الفتاة العز باء. ومع هذا كان (التسري) من المتع التي يختص بها الأغنياء والملوك. إذ كان الملك يحوي في قصره ما بين (٣٢٩) إلى (٣٦٥) فتاة. وأصبحت العادة أن لا يضاجع الملك امرأة مرتين إلا إذا كانت رائعة الجمال.

وكانت المرأة تسير بين الناس بكامل حريتها سافرة الوجه. وتملك من العقارات ما لا حدّ له . وتتصرف في شؤونه وأموالها، وتستطيع أن تدير شؤون زوجها وأعماله.

أما بقية النساء فكانت العزلة المفروضة عليهن في أيام حيضهن تمتد حتى تشمل جميع حياتهن الاجتماعية. فلا تخرج إلا في هوادج مسجفة، ولا يسمح لهن الاختلاط بالرجال علناً وحرم على النساء أن يرين أحداً من الرجال ولو كانوا أقرب الناس إليهن .ويظل مقضياً عليهن بأن يقمن في خيمة تعرف باسم (داخمي) ولا يجوز لأحد بمخالطتهن. أما (السراري) فكن أكثر من غيرهن حرية. ويستعان بهن على تسلية ضيوف أسيادهن.

لقد كانوا يغفرون للمرأة المتزوجة أو غير المتزوجة إذا حملت سفاحاً ثم أجهضت بشكل طبيعي. إلا أن الإجهاض العمد كانت عقوبته الإعدام لأنه أشد من القتل.

"هذا فضلاً عن الخروج في التعامل معها عن حدود المألوف في عالم الإنسان. بل في بعض عوالم الحيوان. فقد أبيح الزواج بالأمهات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخت وبنات الأخ . ويزداد امتهان المرأة في العهد الفارسي القديم بعداً عن الإنسانية حين كان الفرس يضعون لفائف قماش حول أنوفهم وآذانهم وأيديهم خشية النجاسة إذا مسّوا المرأة الحائض أو خيمتها . كما يحكم عليها بالموت أو ينعم عليها بالحياة ."(١)

---

١ ـ حقوق المرأة في الإسلام ص ٢٧ ـ ٢٨واسلام بلا مذاهب ـ د٠الشكعة ص٨٨.

وبصورة عامة كانت النساء كائناً غير مرغوب فيه .لأنهن ينشأن لبيوت غير بيوتهن . ويستفاد منهن لغير آبائهن . ويذكر الكاتب التركستاني أحمد آجاييف:أن المرأة أكثر سوءاً وأبعد امتهاناً. ولم تكن تتميز عن الأمة المملوكة في شيء. تظل طيلة حياتها سجينة بين جدران منزلها، أو منزل زوجها. لا يحق لها أن تخرج منه. كما كانت تباع وتشترى في كثير من الأحيان".

مكانة المرأة في الشريعة السومرية

أما في الشريعة السومرية فكل ما تجيزه أن تسمح للزوج بأن يقتل زوجته إذا زنت. أو يتخذ له زوجة ثانية وأن ينزل الأولى منزلة أقل من منزلتها السابقة. ويحق للفتاة المتزوجة استملاك كل شيء يقدمه لها والدها أو زوجها. إضافة إلى أنها كانت تدير أعمال زوجها في المزارع والعمل التجاري. لكن الرجل في النهاية هو المسيطر وصاحب القرار. فكان من حقه أن يقتل زوجته أو يبيعها أمة وفاء لما عليه من ديون.

أما من الناحية الأخلاقية فزنى الرجل كان يعد من النزوات التي يمكن الصفح عنه. أما زنى الزوجة فكان عقابه الإعدام أو كما سبق. أما إذا كانت عاقراً جاز طلاقها، وإذا لم تقم بواجبات الأمومة تعدم غرقاً.

ولم يكن للأطفال شيء من الحقوق الشرعية، حيث كان السومري يفخر أن يهب ابنته كإحدى السرائر للآلهة أو الكهنة، أو ممثليهم لتخفيف ما يعتري حياة الكهان المقدسة من ملل وسآمة. بل يقدم القرابين في هذا الاحتفال الذي شرّفه بإدخال ابنته إلى الخدمة المقدسة.

مكانة المرأة عند الفينيقيين

وكان للفينيقيين آلهة كثيرة . وكانت عشتورت (اشتار) تعبد على أنها آلهة الطهر، وفي أماكن أخرى على أنها آلهة الفجور والحب الشهواني. وقد جعلها اليونانيون صورة من آلهتهم (أفروديت) وكما كانت اشتار تتقبل بكارى عابداتها من البنات كذلك كانت النساء اللاتي يعبدن (عشتورت) يقدمن غدائرهن أو يستسلمن لأول غريب يعرض عليهن حبه في جوار الهيكل.

مكانة المرأة عند البابليين

إن أهم ما يلفت النظر في حياة البابليين تلك العادة الذائعة الصيت: (ينبغي لكل امرأة بابلية أن تجلس في هيكل الزهرة مرة في حياتها. وأن تضاجع رجلاً غريباً. حيث تخترق جميع النساء ممرات مستقيمة في كل الاتجاهات. حيث يمر فيها الغرباء ليختاروا من النساء ما يرتضون. فإذا جلست امرأة هذه الجلسة كان عليها إلا تعود إلى منزلها حتى يلقي أحد الغرباء قطعة من الفضة في حجرها. وعلى من يلقي القطعة أن يقول: أضرع إلى الآلهة ميلتا أن ترعاك. ومهما يكن من صغر القطعة فلا يجوز للمرأة أن ترفضها، لأن القانون يحرم ذلك. وعلى المرأة أن تسير وراء أول رجل يلقي القطعة إليها. فإذا ما ضاجعته، وتحللت مما عليها من واجب للآلهة، عادت إلى منزلها. ومهما بذل لها من مال بعدئذ لا يكون في وسع أحد من الرجال أن ينالها. فإذا كانت المرأة ذات جمال وتناسق في الأعضاء لا تلبث أن تعود إلى دارها. أما المشوهات وغير الجميلات فيبقين في الهيكل زمناً

طويلاً لعجزهن عن الوفاء بما يفرضه القانون. ومنهن من ينتظرن ثلاث سنوات أو أربعاً).

ولم تكن تلك النساء عاهرات بطبيعة الحال. لكن هناك عاهرات من أصناف مختلفة يسكنّ في أرياض الهيكل ، ويمارسن حرفتهن فيها . وظلت (الدعارة المقدسة) عادة متبعة في بلاد بابل حتى ألغاها قسطنطين ٣٢٥ ق.م. إضافة إلى عهر حانات الشراب التي تديرها النساء.

وكان يسمح للبابليين بقسط من العلاقات الجنسية قبل الزواج. وكان الآباء هم الذين يهيئون الزواج الشرعي لأبنائهم. وكان الطرفان يُقّرانه بتبادل الهدايا.

وكان القانون ينص على إغراق الزوج لزوجته الزانية ومن زنت معه. إلا إذا أشفق الزوج على زوجته فآثر أن يستبدل بهذه العقوبة إخراجها إلى الطريق عارية.

أما حمورابي فقد أقرّ أن ترمي بنفسها إلى النهر حفظاً لشرف زوجها. وكان في وسع الزوج أن يطلق زوجته وأن يردّ عليها بائنتها. أما إذا قالت هي (لست زوجي) فقد وجب قتلها غرقاً.

وكان للمرأة أن تفارق زوجها إذا أساء معاملتها. ولها الحق أن تعيش مع رجل آخر إذا غاب زوجها في سفر أو حرب دون أن يطلقها. ولا يمنع من العودة إليه مرة أخرى إذا عاد من غيبته.

وكانت مكانة المرأة البابلية أقل من مكانتها في مصر أو روما رغم حريتها العامة في العمل والتجارة والتملك والإرث. وتشير عبادة (اشتار) إلى أن المرأة والأمومة كان لها قسط من التبجيل في بلاد بابل

كما تشير عبادة السيدة مريم العذراء في العصور الوسطى إلى ما كان لها من التبجيل.

لكن أبا التاريخ (هيروديت) يقول: إن البابليين إذا حوصروا كانوا يخنقون زوجاتهم كي لا يستهلكن ما عندهم من طعام). كما أن المؤرخين يؤكدون على أن البابليين لم تكن لديهم صفات الشهامة والفروسيّة. حتى أنهم وصلوا إلى مرحلة التخنث وسرت عادات العاهرات إلى جميع الأوساط حتى يقول هيرودوت (إن كل رجل من عامة الشعب إذا عضه الفقر، عرض بناته للدعارة طلباً للمال).

لقد فسدت الأخلاق وانحلت ورضوا أن يكونوا مكاناً لإشباع الملذات الشهوانيّة.

"ومع ظهور التماثيل الذكرية المقدسة على نطاق ضيق، وبشكل مترافق مع التماثيل الأنثوية التي بقيت سائدة مما أدى إلى ظهور تمهيدي للثنائي الإلهي، الأم الكبرى وابنها والذي سيتطور في القرن السادس ق.م إلى أن يتزوج الولد أمه فيكون ابنها وزوجها في آن واحد. ولكن دون أن يعطي انطباعاً برهبة الألوهية مما يدل على الدور الثانوي للآلة الذكر وتبعيته للآلهة الأم" -[1].

لقد قللت الثقافة والحضارة البابلية من مكانة الآلهة الأم. لأن الآلهة الذكور جعلوا من الآلهة الأم منفعلة لا فاعلة. فخصبها يأتي من خارجها "غير أن الديانات المتطرفة حاولت أن تقلص من صورة الأم

---

١ ـ قصة الحضارة ـ وول ديورانت.

الكبرى كما هي ديانة العبرانيين بشكلها التوراتي المتأخر"[1] فأمومة حواء ليست أصلية و لأنها أصلاً مولودة من آدم، وبذلك حصل الذكر آدم على فضل الأبوة والأمومة.

لكن الديانة المسيحية أعادت للأم سلطانها حيث تبدأ الأم العذراء رحلتها من فتاة عادية إلى أم كونية ثم إلى أم للآلهة الذي اقترب من البشر بدخوله في تاريخهم وتجسد في عالمهم وعبوره عبر الأم طفلاً لها .

أما في (قبائل الأرغوا) فيعتقد أن الخلق قد بدأ منذ أن نزلت المرأة من السماء فوق البحر وتعاونت الأسماك والحيوانات البحرية على مساعدتها. فنقلتها السلحفاة على ظهرها، وأصبحت اليابسة. وأقامت المرأة عليها، وأن ذرية المرأة فيما بعد هم شعوب الأرغوا العظيم. وأن (شعوب أمريكا وقبائلها الهندية الأصيلة) تعتقد أن المرأة هي مركز الكون. وأن فترة الحيض عندها تحمل قوة تدمر المحاصيل والصيد. فتقرر عزل المرأة في الأكواخ طوال فترة الحيض. ورحبت المرأة بهذا العزل لأنها عدته بمثابة راحة لجسدها ونفسها."[2]

المرأة عند الأثينيين

أما عند الأثينيين، وهم أكثر الدول القديمة تمدناً. فكانت المرأة مجرد مملوكة أو قطعة من الأثاث تباع وتشترى بيع السائمة والعقار .وكان ينظر إليها نظرة ازدراء واحتقار. وكان من حق (الأثيني) أن يقتني أي عدد من النساء بلا قيد أو شرط.

---

١ ـ المصدر نفسه.

٢ ـ المصدر ـ المرأة هموم وتطلعات ص ١٢٩.

وكان يتفاخر بثلاث طبقات من النساء طبقتان منهن تشكل الزوجات الشرعيات ونصف الشرعيات والباقيات من النساء بطبيعة الحال يشكلن طبقة البغايا.[1]

ولم تكن المرأة عند الرومان بأحسن حالاً من أختها عند اليونان. فقد كانت قدسية الزواج مجرد كلمة لا معنى لها. وأصبح التسري وأخذ العشيقات الكثيرات شيئاً تعترف به الدولة رسمياً. والنتيجة الحتمية لذلك كانت ضياع المرأة، ثم انزلاقها إلى مهاوي البيع والشراء.

المرأة في الحضارة اليونانية القديمة:

كان وضع المرأة لدى اليونانيين القدماء وسواهم سيئاً جداً. فقد كانت أشبه بالمتاع الرخيص. حيث كانت العاهرات سيدات المجتمع. فأفلاطون نادى بشيوعيّة النساء، وأيد اللواطة وشرّع ذهاب النساء إلى الحرب عاريات أمام الرجال. وقد ذكرت كتب الأساطير قصصاً يندى لها الجبين عن وضع المرأة رغم الحضارة التي وصل إليها اليونانيين.[2]

المرأة عند العرب:

أما عند العرب فلم يكن الوضع أحسن حالاً. فالمجتمع العربي كان يسمح بزواج الرجل من أختين معاً وكان يقتني الإماء والجواري.

1-The spirit of Islam 222.

2 - المرأة في نظر الكنيسة –اسبيرو جبور ص ٣٦- ٣٧.

ورغم أن المرأة كان يسمح لها بالتجارة ولها مكانة عالية في القبيلة من حيث المحافظة على الشرف والكرامة والعرض والنسب إلا أنه لم يكن مسموحا لها المشاركة في القتال بسبب السبي الذي كان سائداً في الغزوات بين القبائل.

ومع هذا كانت الأنثى غير مرغوب بها، وكان كثيراً من سادات العرب يفتخرون بذلك. ولهذا ساد وأد البنات وهن صغيرات. فهذا قيس بن عاصم المنقري يعترف أمام الرسول (ص) أنه وأد بضع عشرة بنتاً من بناته في الجاهلية . وقد استفظع الرسول(ص) هذا العمل وفرض عليه كفارة مقدارها عتق نفس عن كل موءودة. وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب آلا ساء ما يحكمون﴾ سورة النحل ٥٨ و٥٩.

ولم يكن من حق النساء أن يرثن من مال آبائهن كما يرث البنون . فهذا عمر بن الخطاب يقول مستنكراً: والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما انزل، وقسم لهن ما قسم. وبعد الإسلام لم يستطع بعض الصحابة أن يبعد عن نفسه بسهولة كراهيته للأنثى. فهذا الموقف بين عمرو بن العاص والخليفة معاوية بن أبي سفيان يترجم ذلك: (دخل عمرو على معاوية وبين يديه ابنته عائشة فقال: من هذه ؟ فقال معاوية: هذه تفاحة القلب. فقال عمرو بن العاص: انبذها عنك، فوالله إنهن ليلدن الأعداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضغائن. فقال معاوية وكان حكيماً وداهية من دهاة العرب: لا تقل ذلك يا عمرو، فوالله ما مرّض المرضى ولا ندب الموتى، ولا

أعان على الأحزان مثلهن، ورب ابن أخت قد نفع خاله).

وقد أَلِفَ العرب حكم المرأة حيث وصلت إلى أعلى مراتب الحكم. حيث حكمت ونجحت في حكمها. وتحدت إمبراطوريات الرجال، وسيرت الجيوش، وانتصرت عليهم. فها هي الملكة بلقيس في اليمن. وزنوبيا في تدمر التي قاتلت ودافعت عن مملكتها بشجاعة وفخر ولم تستسلم رغم أسرها وحملها بالقيود إلى روما . ومع ذلك أصبحت مثالاً للمرأة الحديدية بالشهامة والعزة التي يعجز عنها الرجال.

المرأة عند الغرب

لم يكن الغرب في يوم من الأيام يقدر المرأة أو يعطيها القليل من حقوقها مهما بلغت تلك الدول والقوانين من تقدم أو حضارة. ففي عام ١٧٨٧عندما أقر الدستور الأمريكي لم ترد فيه كلمة المرأة أو الملونين. وبقيت المرأة تناضل على مدار قرنين من الزمن من خلال الأحزاب السياسية مطالبة بالمساواة مع الرجل. إلا أنها ولغاية اليوم لم تحصل عليها . وما زالت تعاني من الظلم والقهر، وتتقاضى أجوراً أقل من رواتب الرجال بالرغم من التكافؤ في الشهادات والخبرة. وما حصلت عليه بعض النساء يعود إلى أسباب خاصة وليست قاعدة عامة. ومهما كان المنصب الذي تشغله المرأة فإن القرار يبقى رهناً بالرجال. ولا خلاف في النظام السياسي إن كان شرقاً أو غرباً.[1]

---

١ - المرأة هموم وتطلعات ـ ص ١٠٤.

المرأة في المعتقدات الهندية

مكانة المرأة عند الهندوس:

(ليس للمرأة أي خيار. سواء كانت بنتاً صغيرة أو كبيرة، عزباء أو متزوجة أو أرملة. فالعزباء خيار أبيها، والمتزوجة خيار بعلها، والأرملة خيار أولادها، وليس لها أن تستقلّ أبداً. وعلى الفتاة أن ترضى بمن ارتضاه لها والدها زوجاً. فتخدمه طوال حياته، ولا تفكر في رجل آخر بعد وفاته. بل عليها أن تهجر ما تشتهيه من الأكل واللبس الحسن والزينة كلها، وتعيش أرملة إلى آخر عمرها.

أما إذا كان الزوج سيء الطباع أو يحبّ غيرها فلا يحق لها أن تحقد عليه أو تخونه أو تقصّر في أداء واجباته، وعليها إن تعمل دائماً لنيل رضاه. فالجنة منوطة برضاء الزوج. فلا يحقّ لها أن تفعل شيئاً لا برضاه.

كما أنه لا يحق للأب أن يأخذ شيئاً من مهر ابنته، فذاك عار عليه لأنه كمن باعها . وعلى الأسرة أن تحترم المرأة. وتخصها بالعطف. فمن يحقرها تذهب حسناته سدى. وعلى الزوج أن يحترم، ويحبّ زوجته، لأنها تلده في صورة ابنه، فهي خليقة بحبه .وعليه أن يسلمها مقاليد البيت وواجباتها أن تلد، وأن تربي أولادها، وتدبر شؤونها وأمور منزلها. فهي سيدة بيتها، وعظمتها منوطة بعظمة زوجها. أما إذا ابتلي الرجل بزوجة قاسيّة شريرة، خداعة فله أن يطلقها ويطردها من بيته .

ورغم كل ذلك فالهندوس لا يقيمون وزناً لشهادة المرأة ، فالمرأة تشهد للمرأة والرجل للرجل، وشهادة النساء لا يقام لها وزن كبير وإن

كنّ نزيهات. لأن عقولهن لا توازن فيها.

كما لا يجوز للرجل أن يتراجع عن وعد، أو قول لزواج ابنته لشخص ما. فذلك من أكبر الآثام، ويعادل قتل ألف نفس بريئة. وعلى الزوجين أن يعيشا بالحب، لأنهما اقترنا على اسم الله. كما إن المرأة لا ترث. فالإرث للولد الأكبر. هو الذي يرث والديه. أما أخوته وأخواته فكلهم يعيشون تحت أمرته. لأن الأخ الأكبر بمنزلة الأب. والذي ليس له ابن فيجوز أن يقول لزوج ابنته إن وُلِدَ له وَلَدٌ فهو يرثني مقام ابني[1].

المرأة والبوذيّة:

يقول العلامة (رادها كر شنن) النائب السابق لرئيس الجمهورية الهندية: إن المرأة الهندية في عصر بوذا لم تكن منعزلة، ولكننا مع ذلك نجد بوذا يتردد كثيراً في قبولها لتكون من أتباع مذهبه ودينه. وقد سأله مرة أحد خاصته، وهو ابن عمه آنندا: كيف نعامل النساء أيها السيد؟ فأجاب: لا تنظر إليهن.

- ولكن إذا اضطررنا للنظر إليهن؟
- لا تخاطبهن .
- ولكن إذا خاطبننا ؟
- إذاً كن على حذر تام منهن.

وكان آنندا من أنصار المرأة، وكان ابن عم بوذا وصفيّه. فما زال يلحّ على بوذا حتى قبل ضم النساء إلى جماعته وأتباعه. على أنه على الرغم من ذلك كان يرى في هذا خطراً على المجتمع البوذي. وقد قال

---

١ ـ مقارنة الأديان ـ أديان الهند الكبرى ـ ص ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ٧٩.

مرة لأنندا: لو لم نضم المرأة لدام النظام الخالص طويلاً، أما الآن بعد دخول المرأة بيننا فلا أراه يدوم طويلاً".

وقد أثر عن بوذا قوله "للنظام بعد موتي أن يغيّر من سننه ما يراه مضرا لمقاصده وحياته" ويرى العلاّمة رادها كرشنن أن بوذا أوصى بهذه الجملة لأتباعه طرد النساء إذا رأوا منهن خطراً على هذه الدعوة.[1]

---

١ ـ المصدر السابق ص – ١٧٩ - ١٨٠.

النظرة إلى الجمال عند المرأة

في وادي النيل

عند السومريين

عند الإغريق والفرس

في افريقيا

في وادي الرافدين

عند الرومان

عند العرب

(ما أصدق المثل القائل: لا جديد تحت الشمس، وأن الفرق بين المرأة الأولى والمرأة الأخيرة ليتسع له سم الخياط)

لقد كان الإحساس بالجمال ضعيفاً عند البدائيين. إذ أن ا لإنسان البدائي قلما يفكر في اختيار المرأة على أساس ما نسميه نحن بالجمال. فقد تكون الوجوه أكثر جمالاً ، أو أقل جمالاً. لكن في النهاية النساء في جوانبهن الأخرى لا يختلفن في شيء .

١ ـ في وادي النيل :

كانت النساء في وادي النيل تهتم بالجمال والتزين. وتستعين بفنون التجميل على إصلاح عيوب أجسامها. وكل حسب إمكانياتها .وهذا ما ظهر من خلال التماثيل التي وجدت، وأدوات الزينة في المقابر.

لقد كانت النساء تحمّر وجوهها وشفاهها وتلون أظافرها، كما كان الرجال يدهنون أجسامهم بالزيت. وقد ظهر الكحل واضحاً في اللوحات والتماثيل التي وجدت على طول وادي النيل. كما أنه قد وجد في قبور الأغنياء سبعة أنواع من الأدهان ونوعين من الصبغة الحمراء، وكميات كبيرة من أدوات الزينة والمرايا والمواسى، وأدوات التجميل وتجعيد الشعر ودبابيسه، وصناديق الأدهان المغلقة والصحاف والملاعق المصنوعة من الخشب أو العاج أو المرمر أو البرونز .وكلها أشكال جميلة تتناسب مع فن التجميل. ولا تزال هذه الأصباغ موجودة

في مكاحلها وأنابيبها إلى يومنا هذا.

لقد كانت العطور تستخدم لتعطير الجسم، والثياب. كما كانت المنازل تبخر بالبخور. أما الملابس فكانت الأرقى والأفخم للملوك وحاشيتهم.

أما البنات فكن يظهرن شيئاً من الخفر الخليق بهن يضعنه على أوساطهن. أما الخدم فيضعون ما يستر عوراتهم. ثم نبذت النساء المئزر الضيق في عصور الرخاء المتأخرة، واستبدلن به ثوباً فضفاضاً يربط بمشبك تحت الثدي الأيمن.

وكان الرجال والنساء سواء في شغفهم بالتحلي والزينة، فكانوا يحلون بالجواهر أعناقهم، وصدورهم، وأذرعهم ومعاصمهم وأرساغهم. لكل رجل خاتم في إصبعه، ولكل امرأة قلادة تزينها. وإسوارة على شكل أفعى في معصمها أو ذراعها.

٢ ـ في بلاد سومر:

لقد دلّت الآثار على أن النساء السومريات كن على درجة عالية من الاهتمام بالحياة المترفة. فالصبغيات والإكسسوارات والأدهان والجواهر من أهم ما وجد في المقابر السومرية. وقد كشفت الآثار عن مدهنة صغيرة مصنوعة من الدهنج (وهو الزمرد) أزرق مشرب بالخضرة، وعلى دبابيس من الذهب رؤوسها من اللازورد. كما عثر على مثبنة (وعاء صغير) عليها قشرة من الذهب الخالص، وملعقة صغيرة لعلها تستخدم في أخذ الصبغة الحمراء من المدهنة، وعصا معدنية يستعان بها على نعومة الجلد وملقط للشعر، وخواتم مصنوعة من أسلاك ذهبية مطعمة بفصوص من اللازورد وعقد من الذهب

المنقوش.

٣ ـ عند الإغريق والفرس:

لقد وجد الإغريق سرعة في زوال الأصباغ فابتكروا الوشم والوصم كأدوات للتزيين، ورسموا أشكالا متنوعة وزخارف على الوجه والذقن والأذرع، وما زالت بعض النساء إلى يومنا هذا يستخدمن هذه الطرق وخاصة (البدو الرحل).

وبعدها أصبحت الطبقات العليا في بلاد الغرب أسيرة الأنماط الحديثة والحياة المترفة. فلبس الرجال السراويل المطرزة الموشاة. وتجملت النساء بالأصباغ والحلي. بل غالوا كثيراً حيث كانوا يزينون الخيل التي تركبها النساء الثريات بالذهب.

٤ ـ في إفريقيا:

كان يعتقد سكان جبسلندة إلى أن الموتى الذين يدفنون بغير قرط في الأنف، سيلاقون في الآخرة عقاباً عظيماً . فكانت المرأة تثقب أذنيها للأقراط وتلقط شعرات حاجبيها وتقيّم أحداب جفنيها. وكانت ملكة "الوابونيا" على نهر الكونغو تلبس حول عنقها إطارا نحاسيّاً يزن عشرين رطلاً.

والزنوج ومثلهم العرب يعدون المرأة السمينة من أجمل النساء. والجمال الكامل تبلغه المرأة إن زاد ت بوزنها حمل الجمل. حتى قال أحد الشعراء العرب:

غـراء فرعـاء مـصقول عوارضـها   تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل

وهذا ما يدل على سمنة المرأة حتى أنها لا تستطيع رفع قدميها وكأنهما مغروزتان في الوحل.

أما أهل الصومال فكان الرجال إذا ما أرادوا الزواج صفوا النساء صفاً واختاروا من بينهن أكثرهن بروزا في العجز. وليس أقبح في عيونهم من المرأة النحيلة.

أما في إفريقيا الوسطى، فان النساء ينفقن ساعات طوال في تجميل أنفسهن. فيصبغن أصابع أيديهن وأرجلهن صبغة أرجوانيّة يلفها بأوراق الحناء. ويصبغن شعورهن باللون الأزرق، ويخططن جفونهن بالكحل. وكل سيدة تحمل حقيبة تحوي أدوات تجميل وماكياج وخواتم وأجراساً ومشابك شعر.

٥ ـ في بلاد الرافدين:

وعندما ساد الترف قصور الأمراء في بلاد الرافدين. اهتمت المرأة بالزينة، وخاصة بعد أن تداخل المنصر الفارسي مع العربي. فاشتهرت عاتكة زوجة يزيد بن معاوية بالتطيب والتجمل حتى أصبحت مضرب المثل.

إلا أن الصفة العامة كانت تشترط على المرأة العربية لباس الحشمة والوقار. حيث كانت تلبس الملاءة السوداء الفضفاضة الطويلة، التي تغطي كامل جسمها وتلف رأسها بمنديل يربط فوق الرقبة إضافة إلى لبس الخلاخل في القدمين والأساور في المعصمين. ولا يعني ذلك أن المرأة لم تكن تتزين بل كانت تلبس الأقراط وتصبغ شعرها بالحناء السوداء والأرجوانية وتستخدم الكحل إضافة إلى أجمل أنواع الطيب حيث كان يطوف به الباعة المتجولين بين المضارب والبوادي. وحين

تفشت المفاسد، وكثرت الإماء والجواري في القصور انتشر الحجاب وانزوت المرأة الحرة في بيتها.

٦ ـ عند الرومان:

"أما فتيات روما في عهدها الأول لم يبلغن من الجمال ما بلغته أخواتهن في عهودها المتأخرة. فكان لهن أنوف صغيرة رفيعة، وكُنَّ ذوات شعر أسود وعيون داكنة، وكان للشقراوات عندهن منزلة رفيعة وكذلك كان للصبغات الألمانية التي تكسب الفتيات هذا اللون قيمة كبيرة"[1].

٧. عند العرب:

وقد ورد وصف للجواري في كتاب الحضارة الإسلامية. أنقل بعضاً منها عن كتاب حيث يقول: "فالهنديات لهن حسن القوام وسمرة الألوان وحظ وافر من الجمال، مع صفوة وصفاء بشرة وطيب نكهة ولين نعمة، لكن الشيخوخة تسرع إليهن. والقندهاريات والسنديات ينفردن بدقة لخصور وطول الشعور والمدنيات سمر الألوان معتدلات القوام، قد اجتمع فيهن حلاوة القول ونعومة الجسم وملاحة دل وحسن شكل وبشر، ولا غيرة فيهن على الرجال، قنوعات بالقليل، لا يغضبن، ولا يصخبن. والمكيّات خبات مؤنثات لينّات الأرساغ، ألوانهن البياض المشرب بالسمرة، قدودهن حسنة، وأجسامهن ملتفة وثغورهن نقية باردة، وشعورهن جعدة، وعيونهن مراض (ذابلة مكسورة وهو من جمال النساء) فاترة. والطائفيات سمر مذهبات مجدولات، أخف

---

١ ـ قصة الحضارة ج٩ ـ ١٠ص ١٤٤.

خلق الله أرواحاً وأحسنهن فكاهة ومزاحاً، لسن بأمهات أولاد، يكسلن في الحمل، ويهلكن عند الولادة.

والزنجيات مساوئهن كثيرة، وكلما زاد سوادهن قبحت صورتهن، وتحددت أسنانهن، وقل الانتفاع بهن. وفيهن جلد على الكد، وليس فيهن متعة لصنانتهن وخشونة أجسامهن.

والروميات بيض شقر، سباط الشعور، زرق العيون، عبيد طاعة وموافقة ومناصحة ووفاء وأمانة. أما الأرمينيات فالملاحة للأرمن لولا ما خصوا به من صحة بنية، وشدة أسر... وفيهن غلظ طبع ولفظ، وليست النظافة في لغتهن."[1]

---

١ ـ الحضارة الإسلامية- ج١ص ٢٧١- ٢٧٤.

الزواج ومكانة الأطفال
عند بعض الشعوب

الزواج

وضع الأطفال عند بعض الشعوب

الـزواج:

الـزواج: هـو عـلاقـة إنسانيـة واجتماعيـة وجـسديـة بـين ذكـر وأنثـى سواء كانا إنسانا أو حيوانات أو طيورا فالطيور أسبق وأرقى في هذه العلاقة التي لا تعرف الطـلاق. بينمـا هنـاك أنواعـاً مـن الحيوانـات إذا حاولت الاتصال بغير ذكرها، يعاقبها عشيرها عقاباً شديداً. فيقول د. ساندج عن الغوريلا: إنـه مـن المـألوف أن تـرى الوالـدين جالـسين تحـت شجرة يتسليان بالفاكهة وأولادهما حولهما في قفـز ووثـب مـن غـصن إلى غصن في مرح وزئاط".

فالزواج أعمق في التاريخ من الإنسان. لقـد تطـورت حـالات الـزواج واختلفت. فلا يخلو مجتمع مـن الـزواج، فـالزواج يرتكـز علـى طبيعـة خلق الله للرجل والمرأة. وعلى الجاذبية المتبادلة بينهما. فالزواج عملية طبيعية، وظاهـرة أخلاقيّة. لكن مرحلة الفوضى الجنسية عنـد بعـض الشعوب شابهت إلى حد ما صنوف الزواج البدائي. ففي قبائل (فوتانـا وهواي) معظم النـاس لم يتزوجوا إطلاقاً. وفي قبائل (بور نيو) لم يكـن الزواج هو الرباط الذي يربط شخصين. أما في شعوب روسـيا البدائيـة فكان الرجال يقيمون علاقتهم بالنـساء دون تمييـز. بحيـث لم يكـن للمرأة زوج معين، ووصل الأمر إلى مطالبة النساء بأن تسلم نفسها لأي رجل يطلبها قبل أن يسمح لها بالزواج. ووصل الكـرم عنـد البـدائيين إلـى إعـارة الـزوجـة وخـاصـة فـي الليـلـة الأولـى، وهـذا الحـق يـتمـتـع بـه

الشريف أو الإقطاعي قبل أن يؤذن للعريس بمباشرة الزواج.

أما في قبيلة (اورانج ساكاي) كانت المرأة تعاشر كل رجل من رجال القبيلة حتى يتم الدور. لتعود ثانية. أما في الطبقات الدنيا في التيبت فالزواج تجريبي.

أما في الهند، فإلى جانب (الدراما) الخاصة بكل طبقة على حده، نرى الهندوسيين يعترفون "بذراما" عامة لكل الطبقات. ومنها واجب النسل. ففي تشريع "مانو" ما يلي: "بالنسل وحده يكمل الرجل" فهو يكمل إذا ما أصبح ثلاثة – شخصه وزوجه وابنه – فالزواج في النظام الهندي إجباري للجميع. والرجل الأعزب طريد الطبقات ليس له في المجتمع مكانة. أما بالنسبة للفتاة إن طال بها الأمد عذراء بغير زواج، فذلك عارٌ أي عار.

وعلى الوالدين أن يتوليا أمر الزواج للوليد قبل أن تستولي عليه حمّى الرغبة الجنسية. فتقذف به إلى زواج مصيره خيبة الرجاء. وقد عدّه "مانو" بالزواج الشائن، وليد الشهوة.

لقد آثر الهنود زواج الأطفال، وعدّوه أهون الشريّن، وحاولوا أن يخففوا من أخطاره بأن تبقى الفتاة عند أهلها حتى يتم نضجها . إلا أن غاندي أنكر ذلك، وأنكر الزواج القائم على الأساس الجثماني فهو يقول: "اني أمقت وأكره زواج الأطفال ، ويهتز كياني إن رأيت أرملة طفلة".

إلا أن زواج الأطفال أقام سدّاً في وجه العلاقات الجنسيّة السابقة للزواج . كما فرضوا عقوبات دينيّة صارمة ينذروا بوقوعها ليحملوا الزوجة على الوفاء لزوجها ، مما جعل الزنا أصعب وأندر عليه مما هو

في أوروبا وأمريكا)[1].

وأخذ نظام " السوتي " وهو قتل المرأة بعد موت زوجها – يقلّ شيئاً فشيئاً ، فما دام الزواج قد ربط المرأة بزواجها رباطاً أبدياً ، فان زواجها مرة ثانية بعد موت زوجها كان يعدّ جريمة فادحة . وعلى ذلك كان لا بدّ للأرملة وفق القانون البرهمي أن تظلّ بغير زواج. وأن تحلق شعرها ، وتحيا حياتها العادية ، معنيّة بأطفالها ، ومشتغلة بأعمال البر والإحسان (إذا لم تؤثر لنفسها القتل في نار زوجها)[2].

وكذلك في قبيلة (بايلا) حيث تنتقل النساء من زوج إلى آخر بمحض اختيارهن. والفتيات اللاتي لم يجاوزن العشرين عاماً تجد للواحدة منهن في كثير من الحالات أربعة أو خمسة أزواج كلهم أحياء.

ثم تجد عند بعض الشعوب زواجاً جماعياً بحيث تتزوج طائفة من الشباب طائفة من الفتيات من قبيلة أخرى. أو طائفة من الأشقاء طائفة من الشقيقات، وبحيث تقوم الإباحة الجنسية بين الطائفتين.

فما الذي حدا بالناس إلى الانتقال إلى الزواج الفردي؟

بالطبع لم تكن الشهوة الجسدية هي التي دفعت إلى نظام الزواج الفردي . لأن الإباحية الجنسية تحقق ذلك . ولكن الذي دفع هو حب الملكية الفردية عند الرجل. إذ أراد أن يجعل من المرأة رفيقاً له بثمن رخيص و إضافة إلى حبه ورغبته في توريث ما له وأملاكه إلى أولاده بدلاً عن أبناء الآخرين الذين لا يعرف آباؤهم .ووجد في الزواج الفردي

---

١ ـ قصة الحضارة ـ ج٣ ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٤.

٢ ـ المصدر السابق ص ١٨٣.

سبيلا للاستقرار الروحي والجسدي.

ومهما يكن من أمر فلم يكن للرجل الأعزب منزلة في المجتمع إلا إذا أتم نصفه الآخر بالزواج. وكان إجباريا أن يتزوج من غير عشيرته. ولا ندري هل البدائيون اكتشفوا ما يترتب على زواج الأقارب أم لأن الغريب أجمل في العيون؟ أو انتزاع فتاة من قبيلة علامة من علامات الرجولة؟ أو لتقارب القبائل بعضها من بعض؟.

وكان يشترط على الشاب أن يقيم مع عشيرة العروس ثم تطور الأمر ونظام الأسرة حيث سمح له بدفع مبلغ من المال، أو أن يقيم فترة محدودة مع أهلها.

ومارس السلاف في روسيا والصرب بزواج الاغتصاب أحياناً في القرن الماضي. وهناك من الشعوب ما يقوم الزواج على الخطف. ثم يتم دفع ثمن العروس لأبيها أو التفاوض عليها مقابل هدية تتناسب مع مكانة أهل العروس.

لكن المجتمعات وجدت أن دفع الثمن أو ما تسمى بالمهور أفضل من القتال، وإراقة الدماء. ونتيجة لذلك أصبح الزواج بدفع المهور تحت إشراف الوالدين القاعدة السائدة في المجتمعات.

وفي بعض المجتمعات تطور الأمر إلى أن يدفع الأب مهراً للعريس ليبسر زواج ابنته، وبعضهم يتكفل بتأثيث البيت للزوج. وهكذا حلّ والد العروس لزواج ابنته محل دفع العريس مهر زوجته.

وفي كل الحالات لم يكن للحب موقع في الزواج البدائي. ولم يعثر على أي أغانٍ تدور حول الحب في شعر الأقدمين أو تعبر عنه.

وفي روما كان الزواج في سن مبكرة دون الخامسة عشرة ، وكان

الزواج على ثلاثة أنواع أولها: وهو وضع العروس وما تملك تحت سيطرة الزوج ولا يحتاج هذا الزواج إلى حفل ديني ولكلا الزوجين حق الطلاق دون موافقة الدولة. وثانيهما: ما يتطلب الزواج حفلاً دينياً. ولا يتم إلا بين الأشراف. وقد اختفى الزواج بالشراء الفعلي في عهد مبكر. ولكن قيمة العروس ترد إليها في حال وفاة الزوج أو الطلاق. وكان الطلاق عسيراً ونادراً في هذا النوع من الزواج. أما الزواج الثالث فكان الزوج وحده هو الذي يحق له فصم عرى الزوجية.

وعلى الرغم من كل ذلك فكانت هناك زيجات سعيدة كما دلت المصادر، ويمكن الرجوع إلى تاريخ روما.[1] لتشاهد نساء فضليات مثل (أكتافيا)التي ظلت وفيّة لزوجها انطونيوس رغم خياناته الكثيرة لها. تربي أبناءه من زوجات أخريات، وزوجات. وهناك زوجات ضحين بأنفسهن من أجل أزواجهن، ونساء عملن على حماية أزواجهن في عهد القتل والتعذيب والتشريد. وعرضن أنفسهن لأخطار جمّة.

إن تلك النسوة وحدهن يرجحن بفضلهن ووفائهن لأزواجهن على كل النساء الفاسدات. لقد كانت روما رغم ما عمّ بها من فساد ومجون تقدس شأن الأسرة وتجلّها ، وظلت الفضائل باقية في البيوت الرومانية حتى في أيام الطغاة والمستبدين.

وضع الطفولة عند بعض الشعوب

بما أن الزواج لم يكن يعتمد على الحب، بل كان يعتمد على الربح والمنفعة، فكان من أولى ثماره العمل والأطفال. باستثناء

---

١ ـ قصة الحضارة ج٩- ١٠ص - ١٤٣- ١٤٤.

المسيحية التي لم يكن الهدف من الزواج كثرة الأولاد أو إنجاب الأولاد، وإنما الابتعاد عن الخطيئة ومع هذا فقد أحب الرجال من خلال عصور التاريخ كثرة الأطفال الذكور لأنهم السند في الحرب والعمل. ولم يفكروا في ازدياد عدد السكان أو قلتهم، وكأن هذا الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد.

وإذا أسف الرجال فإنهم يأسفون على أن رزقوا بناتاً، وكثيراً منهم ما زال يفكر بهذه الطريقة. وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾ سورة النحل (٥٨ ـ ٥٩)

لقد كانت بعض القبائل والشعوب تدعو إلى قتل البنات أو وأدهن أحياء أو خنقاً لا فقراً أو من ناحية اقتصادية وإنما خوفاً من عارهن. أما النساء البدائيات، فكانت تقابل ذلك بالإجهاض أو ضبط النسل. وهنا نلاحظ الشبه بين المرأة البدائية والمتمدنة في يومنا هذا لتبقى فيه على جمال قوامها وفتوة شبابها.

هذا السبب وإن توافق مع بعض النساء، إلا أنه لا يتوافق مع الأكثرية منهن. فهناك أسباباً كثيرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١- الزواج المبكر في الشعوب الفقيرة والبدائية مما كان يزيد من عدد الأولاد دون القدرة على إعالتهم. فالطفل الهندي لم يكد يشهد النور حتى يأخذ أبواه التفكير في زواجه.[1]

٢- كثرة الأمراض التي يصاب بها الأطفال مما كانت تودي بحياة الكثيرين منهم.

---

١ ـ قصة الحضارة ـ ج٣ ـ ص ١٧٢.

٣- استياء الأمهات وضعفهن من كثرة الولادة.

٤- المعتقدات الخاطئة عن ولادة التوائم.

٥- العار الذي يلحق الرجال من السبي أو العرض والشرف.

٦- النظم الاقتصادية التي تتبعها بعض الدول خوفاً من ازدياد عدد سكانها.

لقد اتبعت المرأة وسائل متعددة لتحديد النسل منها أن ترفض الرجل إبان الرضاعة التي قد تطول أعواماً. أما في قبائل هنود (تشيني) تأبى المرأة حملاً إلا إذا بلغ طفلها الأول عامه العاشر. وفي جزر بريطانيا الجديدة لم تكن المرأة لتحمل طفلاً لها قبل مرور عامين أو أربعة أعوام بعد زواجها.

والإجهاض شائع في أهل (بابوا) فتقول نساؤهم: "عبء الأطفال ثقيل فلقد سئمناهم لأنهم ينهكون قوانا".

وإذا نجحت المرأة في إجهاض نفسها فما عليها إلا أن تئد طفلها. إذ أن معظم الشعوب الفطرية تبيح قتل الطفل عند ولادته، إذا جاء سفاحاً أو مريضاً أو إذا ماتت أمه عند ولادته.

في قبيلة (بندي) يخنق المولود إذا نزل إلى الدنيا برأسه أولاً.وقبيلة (كافسادال) تقتل الطفل إذا ولد في جو عاصف. وقبائل مدغشقر تترك الوليد في العراء حتى يموت إذا ولد في أول آذار أو يوم أربعاء أو جمعة. أما إذا ولدت توأمين فان ذلك يعد زنا، إذ يستحيل لوالد أن يكون أباً لطفلين في آن واحد. (وقبيلة اللنجوا) في باراجواي لا تسمح للأسرة الواحدة بأكثر من طفل كل سبعة أعوام وتقتل كل ما زاد على ذلك.

أما إذا ما سمح للطفل بالحياة أياماً قلائل. فقد أمن القتل. لأنه سرعان ما تثور في الوالدين عاطفة الأبوة أو الأمومة لما يريانه فيه من بساطة وضعف.

ومع هذا لم تكن تربية الآباء لأبنائهم بسيئة النتائج. على الرغم من إهمالهم إهمالاً شديداً. لأنهم كانوا يتركون الطفل في سن مبكرة يلاقي نتائج بلاهته ووقاحته ومشاكسته. فكان الطفل يزداد علماً كلما ازداد تجربة وفي المجتمع الفطري يشتد الحب بين الآباء لأبنائهم والأبناء لإبائهم.

والطفولة في الجماعة البدائية كانت تتعرض لكثير من الأخطار، والأمراض، ونسبة الوفاة عالية. ومع هذا سرعان ما تضيع الطفولة إذ أنها قصيرة الأمد. وكذلك الشباب.

فالزواج في سن مبكرة سرعان ما يذوي الحمل النساء. وتزويد هؤلاء الأطفال بضرورات الحياة سرعان ما يذوي الرجال. فإذا فرغ الأبوان من تربية طفلهما الأخير يجدان نفسيهما قد ذهب شبابهما ونفذت قواهما وجاء جيل جديد.

"ولما كان المدين يعجز عن سداد دينه كان يحكم عليه بالعبودية لصالح الدائن، مما يجعل الآباء الفقراء يبيعون أولادهم فيصبحون أرقاء."[1]

إلى أن جاء الإسلام، ورسّخ تربيته السامية في نفوس أصحابه. وكان رسول الله (ص) القدوة والمثل الأعلى. فألان القلوب وحث على الرحمة بقوله: والراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض

---

١ ـ إسلام بلا مذاهب ص ٦٧.

يرحمكم من في السماء). وقال أنس(ر): ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله (ص).وكان من وصاياه لقادة المسلمين: (اغزوا باسم الله، ولا تقتلوا وليداً).

وما أكثر نصائح الخلفاء الراشدين وغيرهم لقادة جيوشهم بالحفاظ على الأولاد، والرحمة بالنساء والشيوخ والأطفال وعدم قلع الأشجار. فلعل الآباء والأمهات قساة القلوب أن يتخذوا من رسول الله (ص) أسوة حسنة في معاملة أبنائهم.

النظرة إلى تعدد الزوجات

مقدمة

في آسيا

عند الرومان

في الأديان السماوية

اليهودية

المسيحية

الإسلام

مقدمة:

يعتقد رجال الأديان والطوائف غير الإسلامية، أن تعدد الزوجات نظام ابتدعه الرسول الكريم (ص) لكن الحقيقة أن هذا الأمر واقع قبل مجيء الإسلام بقرون عدّة. ومع هذا، فالإسلام لم يفرض تعدد الزوجات على المسلمين وإنما أباحه بعدد محدد، بخلاف ما كان سائداً من قبل بعدم محدودية الاقتناء للزوجات.

لقد جاء تعدد الزوجات كصورة من صور الزواج. كما ظهرت صورة تعدد الزواج للزوجة الواحدة. كما في قبائل (تودا) في التيبت ولما كانت حياة القبائل، والحياة البدائية قائمة على القتال والغزو والحروب، فازداد عدد النساء على الرجال، وأصبحت المرأة بين أمرين أحلاهما مرٌّ. إما القبول بتعدد الزوجات، أو البقاء عزباء، بحيث لا يعد ينظر إليها بنوع من الرضا في كثير من الشعوب.

والسبب الثاني أن الرجال يميلون إلى التنوع، كما عبّر عنه زنوج أنجولا بقولهم: لم يكن في وسعهم أن يأكلوا طعاماً واحداً). كما أن الرجال يحبون عشيرتهم في سن الشباب، والنساء يكتهلن بسرعة إضافة إلى أن كثيراً من النساء يحبذن تعدد الزوجات حتى يباعدن بين فترات الولادة، ويخففن عنهن عبء العمل. فكن يشجعن أزواجهن على الزواج لزيادة عدد الأولاد وتحقيق ما يشتهي. دون أن تضر مصالحهن.

وبما إن الأولاد مكسب وربح اقتصادي، فكان الفقير يتطلع إلى

اليوم الذي يعلو فيه بزوجة ثانية ليكبر في عيون الناس. إذ أنه يرى أن البقاء على زوجة واحدة وصمة عار وضعف. والمثل العربي قول على لسان الرجل: (الرجل الخيّر معه اثنتان وثلاث) والمقصود من النساء.

وعندما يتقارب عدد الرجال بالنساء، تعلو مكانة المرأة وتصبح ميزة لا يتمتع بها إلا الأغنياء وحدهم، أما سواد الناس ممن يرغبون بالزواج فقد يخففون وطأة ذلك عن نفوسهم بطرق غير شرعية.

النظرة إلى التعدد في آسيا

اعتمد الزواج في آسيا على زوجة رئيسة، ومحظيات. فلا يورث إلا أبناء الزوجة الرئيسة، وتبقى المحظيات زوجات خلف الستار.

ويقول (سكوت كرافت):"إن نسبة كبيرة من الرجال الكهول والشيوخ قد اتصلوا بزوجات كثيرة حتى أنهم يجهلون أبناءهم المنتشرين في أرجاء إقليمهم) وإن الهنود يسخرون من الأوروبيين لاكتفاء الرجل منهم بزوجة واحدة مدى حياته، وهم يرون إن "الروح الطيبة" قد زاوجت بين الزوجين ليكونا سعيدين. فلا ينبغي أن يظلا معاً. إلا إذا تلاءمت فيهما الاتجاهات والميول ". لهذا نرى أن الرجال من قبيلة (تشروكي) يبدلون الزوجة ثلاث مرات أو أربعا كل عام. إذ أن لتعدد الزوجات فضل في تحسين النسل.

النظرة إلى التعدد في العهد الروماني:

كان الثراء وفساد الأخلاق من الأسباب التي ساعدت على حل روابط الزواج والانحلال الخلقي. فانتشرت مواخير الدعارة بين الرجال والنساء. وأصبح الزنا من الأمور العادية. ولم يكن ثمة امرأة

موسـرة إلا طلقـت مـرة علـى الأقـل. لأن الـزواج كــان خاضـعاً للمـال والسياسة.

فـأكثر الـشباب مـن تعـدد الزوجـات للحـصول علـى أكـبر قـدر ممكـن مـن البائنـات مـن جـاه ومـال حتـى وصـفها كـاتو بقولـه: (إن الإمبراطورية أصبحت توكيلاً لإدارة شؤون الـزواج). ومـا كـان علـى الـزوج إلا أن يرسـل خطابـاً إلى زوجتـه يبلغهـا أنهـا أصـبحت حـرة في شؤونها كما أصبح هو حر. عندها يسمح للمرأة والرجل أن ينتقل كل منهما إلى زوج آخر.

وقد امتنـع بعض الرجـال عن الـزواج بسبب فقـدان حيـاء المـرأة في حريتهـا. واكتفـى آخـرون باتخـاذ الـسراري والإمـاء. كمـا كانـت الشرائع تبيح للمرأة أن تطلق الرجل سـواء بسواء. وأخـذت طائفـة مـن النساء المطلقات تعبر عن نفسها بأعمال ثقافيـة أو فنيـة أو تجاريـة أو ممارسـة هوايـات كـالطب والمحامـاة، علـى الـرغم أن رومـا في بدايـة عهدها كانت تحافظ على طهارة المرأة. وقد كان يطلب من الفتيات في الطبقات الحرة أن يحافظن على بكارتهن. أما الرجال فلا يلامـوا كثيراً على عدم العفة.

لقد عدّ تعدد الزوجات تقليدا من تقاليد الشرف والامتيـاز وأصـبح أمراً قانونيّاً.

في الأديان السماوية

اليهودية:

"لقد كان اليهود في نطاق الزواج يجمعون من الـزوجات بغير حدود.

واستمر التعدد إلى ما بعد مجيء موسى عليه السلام. ثم لم يلبث الحاخامات أن اختلفوا على أنفسهم. فبينما حدد الربانيون عدد الزوجات، أطلقه القراؤون بغير حدود، ورفضوا مبدأ التحديد." [1]

فالتعددية في الديانة اليهودية موجودة وخاصة عند سليمان وداو ود، وكان لكل منهما زوجات كثيرات يربو عددهن على المائة. بل أن التلمود والتوراة لم يقف بهما الأمر عند إباحة عدد الزوجات بل امتد إلى التسري أيضاً.

ولم يكن يسمح للمرأة بأن تظل عقيمة، فإذا مات الزوج يتحتم على الأخ أن يتزوج أرملته مهما كان عدد زوجاته. وللرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة أما المرأة فكانت تختص برجل واحد.

لقد أباح اليهود تعدد الزوجات فقد ورد "(إذا كان لرجل زوجتان أحداهما محبوبة والأخرى مكروهة، فولدتا له كلتاهما بنين...")[2].

٢ ـ في المسيحية:

في نطاق التعدد لم يرد في الأناجيل نص واحد يحث على تعدد الزوجات. وقد حرّم بولس الرسول التعدد في حالة واحدة هي: حالة الأسقف الذي لا يطيق الرهبنة فإن له أن يقنع بزوجة واحدة.

ومن المعروف أن الكنيسة قد اعترفت لشارلمان الملك بعدة أبناء غير شرعيين من عدة نساء.[1] كما أباح مارتن لوثر زعيم البروتستانت. تعدد الزوجات كما كان لملك أيرلندا (دير مات) زوجتان شرعيتان

---

١ ـ إسلام بلا مذاهب ـ د.الشكعة ص ٨٨.

٢ ـ سفر تثنية الاشتراع ص ٣٢٤.

وسريتان. وهذه حالات استثنائية، وليست من روح العقيدة لقد ظل نظام تعدد الزوجات معمولا به في المسيحية بالمفهوم المسيحي الغربي حتى القرن السابع عشر، ومباركاً من قبل رجال الدين. حتى أن هذا النظام كان معروفاً منذ سيدنا إبراهيم الخليل، ومن أتى من بعده من الأنبياء والمرسلين. إذ لم يكن التعدد أو التسري عملاً مشيناً.

إلا أن الكنيسة الشرقية ترى"أن الزواج الواحد بأمانة زوجية صحيحة هو زواج بين شخصين يلتقي فيه الروح والجسد. أما القفز من امرأة إلى أخرى هو نحر للحب ولكرامة الإنسان. القلب لا يتسع لزوجتين أو لرجلين. والخائنة والخائن يتصرفان في اتجاه الخيانة فينقلب القلب إلى محط الخسّة والدناءة من صاحب أو صاحبة سوء وخلاعة"[٢].

وفي عام ١٦٥٠ اتخذ مجلس(نورم برج) قراراً بعد الحرب الثلاثينية حينما نقص عدد الرجال عن عدد النساء بأن للرجل الحق في التزوج بأكثر من واحدة. فاليسوعية تقول: لا تعدد زوجات ولا طلاق ولا سريات ولا أسواق نخاسة ولا احتقار للنساء فكل هذه المساوىء هي إشباع لأنانية الرجل على حساب النساء وكرامتهن.

فليس التعدد تهمة يتهم بها الإسلام الذي حدد الزوجات ونظم الحياة الزوجية بدلاً من شيوعها وعدم ضبطها للظروف التي قد تستدعيها الحياة.

---

١ ـ الإسلام عقيدة وشريعة ـ للشيخ شلتوت ص ـ ١٦٨ ـ ١٧٧.

٢ ـ المرأة في الكنيسة ـ أسبيرو جبور ـ ص ـ ٣٣.

٣ - في الإسلام:

لقد أباح الإسلام تعدد الزوجات، ولم يلزم به المسلمين. واشترط بالتعدد العدل بين النساء .و الآية الكريمة في سورة النساء(٣) توضح ذلك:"وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ".

كما أن الإسلام أعطى للمرأة الحق في رفض زواج المتزوج لأن الشريعة لا ترغم المرأة على الزواج من متزوج إن شاءت قبلته و إن شاءت رفضته و الزواج بالإكراه يعد باطلاً و قول النبي (ص) «لا تنكح الأيم حتى تستأمر و لا البكر حتى تستأذن » دليل على تكريم المرأة في إعطائها الحرية في القبول أو الرفض ولكن ليس لها الحق في الاعتراض على أخرى قبلت بهذا الزواج. وعندما أباح الإسلام الزواج بأكثر من واحدة فقد كان يرجع إلى طرق الإكثار من النسل لقول رسول الله (ص) «تزاوجوا تكاثروا فإني مُباهٍ بكم الأمم».

وقد تعرض المجتمع الإسلامي إلى حروب كثيرة كان بحاجة إلى تعويض المسلمين عما يفقدون في الحروب من الرجال، و يعود السبب الثاني لتلافي المشكلات الاجتماعية الناتجة عن زيادة عدد البنات اللاتي يبلغن سن الزواج.

أما السبب الثالث فيعود إلى حاجة البيئات والمجتمعات إلى اليد العاملة، أما السبب الرابع فيعود إلى رغبة الرجل في الذرية خاصة إذا كانت زوجه عاقراً أو مريضة بمرض يمنعها من الحمل والولادة.

ومع هذا سمح للرجل بالزواج الثاني، مع بقاء الأول. واشترط

العدل بينهن[1].

والمجتمع الذي تتعدد فيه الزوجات، خير من المجتمع الذي يسوده التسري، و الزنا، و تعدد العشيقات. وحتى هؤلاء فإنهن يرفضن هذا الواقع . فقد خرجت مظاهرة من نساء ألمانيا يطالبن بتعدد الزوجات بعد الحرب العالمية الثانية، عندما أصبحت المرأة التي تجد زوجاً كأنها وجدت كنزاً. وبعد أن امتلأت الشوارع باللقطاء.

فإذا كانت الظروف السابقة تفرض على المجتمع تعدد الزوجات، فإن الظروف الحالية تندر بتعدد الزوجات. بل الاكتفاء بزوجة واحدة، إذ أن الشريعة الإسلامية شريعة سمحة أباحت التعدد، ولم تحض عليه وتركته خاضعاً لظروف الحياة.[2]

---

١ ـ إسلام بلا مذاهب ـ ص ٧٦ ـ ٧٧.

٢ ـ إسلام بلا مذاهب ـ ص ٧٦ ـ ٧٧.

مكانة المرأة

في الديانات السماوية

المرأة في الديانة اليهودية

المرأة في الديانة المسيحية

المرأة في اليهودية:

تقول القصص الفارسية وقصص التلمود الخاصة بالخلق. أن الله خلق في بادئ الأمر إنساناً مكوناً من ذكر وأنثى متصلين من الخلف كالتوأمين. ثم رأى أن يفصل بينهما كما ورد في سفر التكوين[1] وإن الجنان جميعها تحوي أشجار محرمة، وأفاع سلبت الناس الخلود، أو نفثت السمّ في الجنة. وأكبر الظن أن الحيّة والتينة كانتا رمزين للشهوات الجنسيّة.

المرأة في التلمود:

"بعض الأمور في العهد القديم تضع من شأن النساء، ولكن تتطور الأمور في التلمود إلى احتقار كبير. فهن فيه كما قال: بلا روح ـ لا يحق لهن تعلم التوراة ـ هن قليلات عقل ـ هن إبريق مملوء قذارة ـ فمه مملوء بالدم. أما بالنسبة لنجاسة الحيض فالأقوال السخيفة عديدة. وعندما يصلي المرء فيقول: (مبارك أنت.. يا رب لأنك لم تجعلني امرأة). لقد شوهت سخافات التلمود اليهودية الكتابية بتعاليم لا تمت إلى الكتاب المقدس بصلة... فالعهد القديم كتاب مقدس إلهي، أما التلمود فهو تشريع الحاخامين والفرق بينهما كبير جداً "[2]

---

١ ـ الآية الثانية من الإصحاح الخامس.

٢ ـ المرأة في نظر الكنيسة ـ جبور ص ـ ٣٦ .

والمرأة في معظم القصص، هي الأداة التي تتخذها الحيّة، أو يتخذها الشيطان وسيلة لإيقاع الإنسان في الشر الجميل. سواء كانت هذه المرأة حواء أو بوسي الواردة في الأساطير الصينية. فالشقاء لم يأت من السماء بل جاء من امرأة.

وتقول الأساطير: "لقد أشعلت النار التي أحرقتنا، والتي تزداد كل يوم ضراماً. لقد ضاع العالم، وطغت الرذيلة على كل شيء."

وفي اليهودية يجد الدارس أقسى أنواع التحقير للمرأة، فهم يشكرون الإله لأنه لم يخلقهم برابرة أو غير مؤمنين، لا عبيد ولا نساء. وقد زاد كتاب الصلاة اليهودي على صلاة المرأة "أحمدك أيها الإله الأزلي رب العالم الذي صنعتني كما شاءت إرادتك". وهناك أقوال أخرى كثيرة تظهر في التلمود "طوبى للرجل الذي تكون ذريته من الذكور وويل لمن كانت ذريته إناث" النساء طماعات وشرهات وكسولات، تافهات"[1].

إلا أن الوصية الخامسة تقدس الأسرة، وتضعها من حيث بناء المجتمع في منزلة لا تفوقها إلا منزلة الهيكل. وظلت الأسرة هي المثل الأعلى. حتى جاء الانقلاب الصناعي حيث أعطى للأب سلطان كبير على الأسرة. فله الحق أن يزوج الفتاة بمن يشاء. وإن كان في بعض الأحيان ينزل عن بعض حقه فيطلب إليها أن ترضى بهذا الزوج. وعلى الزوج أن يستتبع انتقال زوجه. فقد كان عليه أن يترك أباه وأمه وينضم إلى زوجه في عشيرتها. ولكن أوامر (يهوه) إلى الزوجة: "(ستكون رغبتكِ لزوجكِ وسيكون له الحكم عليكِ).

---

١ ـ المرأة في اللاهوت الكنسي ص٧٣.

ومع أن المرأة من الوجهة الرسمية خاضعة للزوج. فإنها في الواقع كان لها مكانة وسلطان كبير. مثل سارة وراحيل ومريم واستر ودبورة كانت إحدى قضاة إسرائيل. وكانت النبية (خلدة) هي التي استشارها (يوشيا) في أمر الكتاب الذي وجده الكهنة في الهيكل.

وتعتبر اليهودية العزوبة خطيئة وجريمة. وتجعل الزواج إجباريا بعد سن العشرين، لا يستثنى من ذلك الكهنة. وتزدري العذارى اللاتي في سن الزواج والنساء العاقرات. وتنظر إلى الإجهاض وقتل الأطفال اليهود أنها من أعمال الكفرة التي تؤذي خياشيم الرب.

وكما اعترفت الوصية الخامسة بأن الأسرة هي أساس المجتمع فإن الوصية السابعة تعترف أن الزواج هو الأساس الذي تقوم عليه الأسرة .وهناك أنظمة تحتم على الفتاة أن تثبت عذريتها في ليلة زواجها، وإلا رجمت حتى تموت. ولكن الزنا رغم هذا كان منتشراً بين اليهود .حيث أن القانون لم يحرم الاتصال بالعاهرات الأجنبيات. فقد كان سليمان لا يتشدد كثيراً في هذه الأمور. فقد تساهل في تطبيق القانون الذي كان يحرم على تلك النساء السكنى في أورشليم (القدس). وسرعان ما تضاعف عددهن حتى كادت الكنيس في أيام المكابيين أن تكون ماخوراً للفسق والفجور.

وفي أسفار العهد القديم شواهد على زواج السبايا. حيث كان (يهوه) يجيز الزواج من سبايا الحروب. أما السنة المألوفة فكانت بطريق الشراء. وكان من أشد ما ندم عليه النبي (هوشع)أنه ابتاع زوجته بخمسين شاقلاً.

ويتضح من الوصية العاشرة أنهم كانوا ينظرون إلى المرأة على

أنها جزء من متاع الرجل (لا تشته امرأة قريبك، ولاعبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك). ومعنى الزنا عندهم هو اتصال رجل بامرأة ابتاعها رجل آخر بماله. ومن أجل ذلك كان اتصاله بها اعتداء على قانون الملكية. تعاقب عليه المرأة والرجل بالإعدام. وكان الفسق محرماً على المرأة غير المتزوجة. أما الرجل غير المتزوج فقد كان عمله هذا ذنباً يغتفر له. وكان الطلاق مباحاً للرجل.

ومن أعجب الأمور أن أفضل الوصايا كلها لم تكن بين هذه الوصايا العشر. وإنما وردت في الآية الثامنة عشرة من الإصحاح التاسع عشر والتي تقول: (حب قريبك كنفسك).

وكان اليهودي يتزوج أخته "فقال إبراهيم اني قلت أنه ليس في هذا الموضع خوف الله، فيقتلونني بسبب امرأتي. وعلى الحقيقة هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أمي فصارت امرأة لي".[1]

وكانوا يبيحون زواج السبية إذا أعجبتهم، فإذا رغبوا بالزواج منها، حلقوا رأسها وقلموا أظافرها، ونزعوا ثيابها، وتركوها مدة شهر تبكي أباها وأمها. ثم يدخلون عليها لتصبح زوجة.

أما إذا تزوج رجل بامرأة، ودخل بها، ثم أبغضها، فنسب إليها ما يوجب الكلام فيها وأذاع عنها سمعة قبيحة. فقال إني اتخذت هذه المرأة زوجاً فلما دنوت منها لم أجد لها عذرة. فيأخذ الفتاة أبوها وأمها، ويخرجان علامة عذرة ابنتهم إلى شيوخ المدينة فيقول أباها للشيوخ : إني أعطيت ابنتي لهذا الرجل فأبغضها، وها هو قد نسب

---

١ ـ سفر التكوين ف ٢٠.

إليها ما يوجب الكلام فيها قائلاً: لم أجد ابنتك بكراً. وهذه علامة عذرة ابنتي وييسطان الثوب. فيأخذ الشيوخ الثوب، ويؤدبونه ويغرمونه مئة من الفضة تدفع إلى أب الفتاة.وتكون له زوجة ولا يستطيع أن يطلقها طول عمره")[1].

أما إذا كانت كاذبة فترجم بالحجارة حتى الموت. وكذلك ترجم المرأة الزانية والرجل الزاني المتزوجان حتى الموت. وإذا زنت الفتاة المخطوبة في المدينة فترجم مع زانيها حتى الموت .والحكمة من وراء ذلك أنه كان بوسعها أن تصرخ لتجد من ينجدها لكنها لم تفعل. أما إذا وقع الزنا عليها وكانت في الصحراء فيقتل الرجل الزاني، أما الفتاة فلا ترجم. أما الزنا بفتاة غير مخطوبة فعقوبتها خمسين من الفضة والزواج بها إلى الأبد. كما لا يجوز للرجل أن يتزوج زوج أبيه كي لا يكشف سرّه.

كما أحل اليهود الطلاق. فقد ورد في الفصل الرابع والعشرين من سفر تثنية الاشتراع (إذا اتخذ رجل امرأة وصار لها بعلاً ثم لم تحظ عنده لعيب أنكره عليها فليكتب لها كتاب طلاق ويدفعه إلى يدها ويصرفها من بيته) ولا يجوز لهذه المرأة أن تعود إلى زوجها الأول إذا تزوجت من رجل آخر لكونها قد تدنست.

كما أنه يعطى إجازة لمدة سنة لكل من تزوج حديثاً. إذ لا يجوز الالتحاق بالجيش أو العمل وعليه أن يتفرغ لبيته سنة يسرّ امرأته التي تزوجها.

كما ألزموا زواج الأخ بزوجة أخيه بعد موته إن لم تكن قد أنجبت

---

١ ـ سفر تثنية الاشتراع ف ٢٢.

منه وتسمية الولد البكر منها باسم المتوفى. وفي حال رفض الزواج من قبل الأخ تستدعي المرأة شيوخ المدينة وتعلمهم بالأمر فيجبر على خلع نعله، وتتفل في وجهه على مرأى من قومه ويسمى (بمخلوع النعل) ويلزم بالزواج بها ولا يجوز طلاقها والحكمة من وجوب هذا الزواج كما يرونها ضرورة اجتماعية ودينية. وفي حال رفضه لهذا الزواج يتعرض لعقوبات اجتماعية.

وإن لم يكن له أخ، فيمكن أن يتزوجها أحد الأقارب للزوج المتوفى (راعوت١:٤) وهكذا تكون المرأة تحت حكم الرجل من يوم مولدها إلى يوم مماتها. كما يجوز للفتاة اليهودية أن تتزوج بغير اليهودي. في حين يحظر ذلك على الرجل.

أما المرأة التي تدخل في عراك مع زوجها لرجل آخر وتمسك بيدها سوءة الرجل الآخر فتعاقب بقطع كفها دون شفقة[١].

ويتضح في أسفار اليهود (سفر يهوديت ف ١٢) أن الرب يسمح بتقديم الجسد للتضحية في سبيل القضاء على العدو والمقصود بها التضحية الأخلاقية حتى لو بلغت حد التضحية بالعفة الجسدية. فيقول يهوديت "كل ما حسن وجاد في عينيه فأنا أصنعه، وكل ما يرضي به فهو عندي حسن جداً كل أيام حياتي وثم قامت وتزينت ودخلت فوقفت أمامه... الخ" ويؤكد ذلك موقف أستير عندما أحبها الملك (احشوروش) واتفاقها مع مردكاي اليهودي خادم الملك. وفي نهاية القرن العشرين مازلنا نعاصر قضية مونيكا وكلينتون وافتعال الأحداث الأخلاقية للوصول إلى مآربهم الاستيطانية للسيطرة على

---

١ ـ سفر تثنية الاشتراع ص ٢٤٠.

العالم.

وليس للبنت في الشريعة اليهودية نصيب في تركة أبيها إذا كان له عقب من الذكور، وإذا آل ميراث إلى بنت فإنه لا يؤول إليها من قبيل الشفقة، أو التنظيم الاجتماعي، ولكن الضرورة تكون قد حتمت ذلك لعدم وجود إخوة لها من أبيها ولا يقف الأمر بالفتاة التي اقتضت الضرورة أن تجعلها وارثة لمال أبيها عند حد الميراث. ولكنها تفاجأ ـ ما دامت وارثة بقيد لم تكن تتوقعه، وهوانه لا يحق لها أن تتزوج من سبط آخر. وبالتالي لا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى أسرة ليست من رهطها "[1].

ولأن اليهودية كانت حركة محافظة وغير تقدميّة، فلم تضف أي امتياز للمرأة عن العهد القديم. بل سلبت منها بعض امتيازاتها، واقتصرت الحضارة المبنية على الناموس بكل أشكالها على الرجال فقط. وكن مثل الأطفال والعبيد غير مسموح لهن بتلاوة "الشمعا" بل ولم يسمح لهن بطلب البركة حتى على المائدة في العلن وهناك تحذير شديد ضد ذلك "ملعون الرجل الذي يطلب من ابنته أو زوجته أن تقول له البركة"[2].

وماذا عن المرأة في المسيحية؟

لقد انتشر الفساد والمجون في عهد الإمبراطورية الرومانية. وأصبح مجتمعها مجتمع ترف وفساد وشهوات وعندها كما يقول د. محمد هيكل: "سرت موجة من الزهد وكراهية الذرية، وتم الاعتقاد

---

١ ـ المرأة في القرآن ط القاهرة ص٥٥ عباس محمود العقاد.

٢ ـ المرأة في اللاهوت الكنسي ص ٩٠.

بنجاسة الجسد والذرية، وباءت المرأة بلعنة الخطيئة. فكان الابتعاد عنها حسنة مأثورة. وانشغل اللاهوتيون إلى القرن الخامس عشر بالبحث في جبلتها، وتساءلوا هل المرأة جثمان بحت أو هي جسد ذو روح يناط به الخلاص والهلاك، وغلب على آرائهم أنها خلو من الروح الناجية إلا السيدة مريم أم المسيح عليه السلام"[1].

وكان هذا الانقلاب نتيجة ضغوط الكنيسة الغربيّة ،عندها بدأ اللاهوتيون محاولة العودة إلى الأصول الروحية في مفهوم المرأة. وعلى أثرها ظهرت عقيدة الحبل بلا دنس في بداية القرن الثامن عشر.

احترام المرأة:

إلا أن السيد المسيح أكد على احترام المرأة، والنظر إليها كإنسان وليس كجسد فقط. وحذر من النظر إليها بشهوة مبينا عواقب ذلك قائلاً: (اما أنا فأقول لكم أن كل من نظر إلى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بها قلبه. فإن شككتك عينك اليمنى فاقلعها والقها عنك فانه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله في جهنم)[2].

تحريم الزنا:

لقد حرّمت المسيحية الزنا واعتبرته نوعاً من الإجرام بحق النفس والجسد. وخاصة بعد أن شاع المجون بين بني إسرائيل والرومان بشكل لا مثيل له من بين شعوب العالم. فقد عبّر عنه القديس بولس

---

١ ـ إسلام بلا مذاهب.

٢ ـ إنجيل متى ـ ص ٨.

في رسالته إلى أهل كورنتس، بقوله: "لقد شاع بين الجميع أن بينكم زنى، وأن هذا الزنا لا نظير له ولابين الأمم حتى أن رجلاً يجوز امرأة أبيه". ويقول في الفصل السادس من رسالته: "أما تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح. أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية. حاشى". ويقول: "اهربوا من الزنا فإن كل خطيئة يفعلها الإنسان هي في خارج الجسد، أما الزاني فانه يجرم إلى جسده."[١]

لقد شددت المسيحية على تحريم الزنا بنصوص كثيرة، وطالبت بالابتعاد عنه وعن فاعليه، لأنه من عمل الشيطان فيقول القديس بولس "فما بالكم منتفخين ألم يكن من الأولى أن تنوحوا حتى يرفع من بينكم الذي صنع هذا الصنيع (ويقصد الزاني) أما أنا الغائب بالجسد الحاضر بالروح فقد حكمت كأني حاضر على الذي فعل مثل ذلك. باسم ربنا يسوع المسيح وأنتم روحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع. بأن يسلّم مثل هذا إلى الشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم ربنا يسوع المسيح. ليس افتخاركم بحسن (ويقصد أن الافتخار بعمل الزنا غير حسن) أولم تعلموا أن الخمير اليسير يخمّر العجين كله"[٢].

وبذلك تدعو المسيحية إلى الابتعاد عن الزناة ومخالطتهم كي لا يفسدوا المجتمع كله بشرورهم وآثامهم.

لذلك نرى أن الزنا جريمة حرمتها كل الأديان السماوية. وللنجاة من هذه الجريمة لابدّ من أخذ الحيطة والحذر من التماس غير المشروع

---

١ ـ رسالة القديس بولس إلى أهل كورنتس ـ ف ـ ٦.

٢ ـ رسالة القديس بولس إلى أهل كورنتس ـ ف ـ٥.

بين الرجل والمرأة، والعمل على التربية الصالحة. فقد نهى القديس بولس عن ملامسة المرأة بقوله راداً على سؤاله بقوله: "أما من جهة ما كتبتم به الي فحسن للرجل أن لا يمس امرأة" ثم دعا إلى الزواج بواحدة بقوله: "ولكن لسبب الزنا فلتكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها، ليقض الرجل امرأته حقها وكذلك المرأة أيضاً رجلها"[1] فقد حثّ القديس بولس في رسالته إلى أهل تيطس (وعلى العجائز أن يكن على قدر يليق بالقداسة حتى يهذبن الفتيات بأن يكن محبّات لرجالهن وأبنائهن، عاقلات عفيفات، معتنيات بمصالح بيوتهن. صالحات خاضعات لرجالهن لئلا يجدف على كلمة الله.[2]

الابتعاد عن الزينة المفرطة:

كما نهت المسيحية في رسائل قديسيها إلى الابتعاد عن الزينة المفرطة المغرية للرجال المثيرة لشهواتهم، من تجعيد للشعر أو التحلي بالذهب ولبس الحلي و اللآلىء غالية الثمن لإغواء الرجال، بل التزين بزينة القلب المستتر في الروح الوديعة الذي هو أغلى ثمنا عند الله هذا التزين هو الذي يليق بنساء تعاهدن على عبادة الله بالأعمال الصالحة[3].

---

١ ـ رسالة بولس إلى تيطس ف ـ٢.

٢ ـ رسالة بولس إلى تيطس ف ـ ٢.

٣ ـ رسالة بولس الأولى إلى تيموتاوس ـ ف ـ ٢.

غطاء الرأس:

والأصل في المسيحية أن تغطي المرأة رأسها فلا يجوز لها أن تصلي مكشوفة الرأس بخلاف الرجل. وليس ما نراه اليوم من الدين بخلاف الرجل. لأن الرجل ليس من المرأة وإنما المرأة من الرجل "لذلك ينبغي على المرأة أن يكون لها سلطان على رأسها من أجل الملائكة".

"فكل رجل يصلي أو يتنبأ ورأسه مغطى فإنه يشين رأسه، وكل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها مكشوف فإنها تشين رأسها لأنها تكون كما لو حلق شعرها. لأن المرأة إن لم تتغط فليقص شعرها، وإن كان عيباً على المرأة أن تقص شعرها أو يحلق فلتتغط "أوما تعلمكم الطبيعة أن الرجل إذا كان يربي شعره فهو عار له. أما المرأة فإذا كانت تربي شعر رأسها فهو مجد لها لأن الشعر وهب لها برقعاً"[1].

العطف على المرأة:

لقد نظرت المسيحية إلى المرأة نظرة أم أو أخت. فحثت على العطف عليهن ومعاملتهن بكل عفاف ولطف والابتعاد عن استخدام العنف. فقد ورد في أمكنة كثيرة في الأناجيل على أن المرأة من جسد الرجل وعليه أن يحب امرأته كما يحب نفسه .فها هو القديس بولس يوجه رسالته إلى أهل إفسس قائلاً":

أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها" ويقول: "فكذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم، من أحب امرأته أحب نفسه "لذلك يترك الرجل أباه وأمه

---

١ ـ رسالة القديس بولس إلى أهالي كورنتس.

ويلزم امرأته فيصيران جسداً واحداً، فليحبب كل واحد منكم امرأته كنفسه، ولتهب المرأة رجلها")[1].

طاعة الرجل:

إلا أننا نجد أن المسيحية تلزم المرأة بالخضوع التام للرجل. "لأن الرجل هو رأس المرأة. فالمسيح هو رأس الكنيسة مخلص الجسد. فكما تخضع الكنيسة للمسيح فكذلك لتخضع النساء لرجالهن في كل شيء"[2].

هذا الخضوع المشروط بأن يعطى كل ذي حق حقه من ذكر أو أنثى، فلا يجوز للمرأة أن تمنع رجلها من نفسها، ولا الرجل امرأته إلا على موافقة، لحين الانقضاء من الصلاة. إلا أن المسيحية أجازت الرهبنة للشباب أو الفتيات لمن يستطع صبراً عليه ومن لم يستطع فليتزوج خيراً من التحرق.

"فالمرأة غير المتزوجة والعذراء تهتم فيم للرب لتكون مقدسة في الجسد وفي الروح، وأما المتزوجة فتهتم فيم للعالم كيف ترضي رَجُلَها" ثم يقول: "من زوج عذراءه يفمل حسناً ومن لم يزوجها يفعل أحسن"[3].

وكما ورد في الوصايا بأنه لا يجوز للمرأة أن تفارق زوجها، وإن فارقته فلتبق غير متزوجة أو لتصالح زوجها، وكذلك الرجل.

---

١ ـ رسالة القديس بولس إلى أهل إفسس.ف.٥.

٢ ـ رسالة القديس بولس إلى أهل إفسس- ف- ٥.

٣ ـ رسالة القديس بولس إلى أهل كورنثس – ف- ٨- ص٢٩٥.

الزواج:

لقد وضع الزواج في المسيحية لسببين رئيسين: الأول هو ضبط وتعديل(الميل الجنسي). والثاني هو إنجاب البنين. والسبب الأول هو الأهم، ومنذ أن ظهر الميل الجنسي وضع الزواج. لضبط هذا الميل بحمل الإنسان على الاكتفاء بامرأة واحدة"[1] أما إنجاب الأولاد فإن الزواج ليس سبباً له على الإطلاق، وإنما يتجاوب الزواج مع قول المسيح في التكوين: "انموا وأكثروا واملؤوا الأرض"(تكو ١ : ٢٨).

كما تعتقد المسيحية أن جسد الرجل المتزوج ليس ملكه بل ملك امرأته، ويجب عليه أن يحفظه سليماً معافى غير مدنس. وكذلك المرأة تماماً، لأن جسدها ليس ملكاً لها بل لرجلها. كما على الرجل أن يكتفي بامرأة واحدة، وأن يحافظ على طهارتها وعفتها بكل أمانة. فلا فرق بين الرجل والمرأة وكلهما سواسية في خرق قوانين الزواج.

كما أباحت المسيحية للرجل بأن يقيم معه امرأة غير مؤمنة (غير مسيحية) إن كانت راضية الارتباط به بالمعمودية، وكذلك يجوز للرجل غير المؤمن (غير المسيحي) الإقامة مع امرأة مؤمنة (مسيحية) لأن كل منهما يقدس الآخر. فالمعمودية شرط أساسي في الزواج. "والمرأة التي لها رجل غير مؤمن وهو يرتضي أن يقيم معها فلا تترك رجلها. فإن الرجل الغير مؤمن يقدس بالمرأة المؤمنة. والمرأة غير المؤمنة تقدس بالرجل المؤمن، وإلا فيكون أولادكم نجسين والحال أنهم

---

١ ـ في الكهنوت أحاديث عن الزواج والرسائل إلى اولمبيا ـ يوحنا الذهبي الفم ـ ص ـ١٤٥ ـ ١٤٦.

قديسون".

كما سمحت المسيحية للمرأة الأرملة بأن تتزوج من تشاء فهي معتقة، غير أنها تكون أكثر غبطة إن بقيت على ماهي عليه[1].

وبولس يفرض على الأرامل المسجلات ألا يتزوجن، وإلا ارتكبن خيانة للعهد الذي قطعنه بعدم الزواج (١ـ تيمورة ٥ :١٦/٨) أما الأرامل الشابات فينصح هنا بزواجهن لئلا يقتل البطر أرواحهن. كان شرط الستين عاماً للأرامل غير موجود. إلا أن التجرية مخيفة إذ بطر بعضهن فارتكبن خيانة العهد[2].

ويشترط في الزواج:

١ـ رضا الزوجين بملء الحرية بالارتباط بالزواج.

٢ـ بلوغ سن الثامنة عشرة من عمره للذكر والخامسة عشرة من عمرها للأنثى.

ويؤذن لها قبل ذلك إذا كان جسدها وبنيتها تؤهلانها.

٣ ـ موافقة الأولياء بالتعبير عن الرضا، وفي حال خلاف بينهما يتولى ذلك رئيس الأبرشية.

٤ ـ عدم وجود مانع من موانع الزواج.

٥ ـ إتمام الزواج بإقامة الصلاة الكنسية المفروضة.[3]

---

١ ـ رسالة القديس بولس إلى أهل كورنتس – الفصل الثامن ٢٩٥.

٢ ـ انظر المرأة في نظر الكنيسة – ص- ٨٠.

٣ ـ انظر الدليل الرعائي إلى الأسرار للروم الأرثوذكس- ص١٣٥- ١٦٧.

التعاليم الدينية:

ثم أمرت التعاليم المسيحية المرأة بأن تتعلم في الكنائس وهي صامتة. و إذا أرادت إن تستفسر عن شيء فعلى زوجها أن يعلمها، فمن العار عليها التكلم في الكنيسة حتى أن القديس بولس يقول: "لتتعلم المرأة وهي ساكتة بكل خضوع، ولست أبيح للمرأة أن تعلم ولا أن تتسلط على رجلها بل عليها أن تكون ساكتة.

فقد جبل آدم أولاً ثم حواء، ولم يكن آدم الذي أغوى لكن المرأة أغويت فوقعت في التعدي"[1].

كما أن التعاليم المسيحية تحرم'تحديد النسل أو قتل الأطفال عن طريق الإجهاض. لكن الانقلاب الصناعي حمل الكنيسة على قبول تحديد النسل في خطوات بطيئة.

الطلاق:

إذا كان الزواج منبع السعادة، وسند الحياة، وبيت الاستقرار، وميناء النجاة، فلا داع إلى أن تترك المرأة زوجها، أو تنفصل عنه في حياته دون سبب، أو أن يكون لها زوج آخر وقد يحصل حادث طلاق وقد تكون منفصلة بالجسد، ولكنها على كل حال مرتبطة بالناموس. وإذا عاشت مع رجل آخر فهي بحالة زنا. وإذا أراد الرجل أن يطرد امرأته أو إذا أرادت المرأة أن تهجر رجلها، فليتذكر كل منهما قول القديس بولس القائل: "المرأة مرتبطة بالشريعة"ص- ١٥٦.

فالمرأة لا تستطيع أن تترك زوجها إلا بموته. وهي حرة بعد ذلك أن

---

١ ـ رسالة القديس بولس إلى تيموثاوس – ف- ٢.

تتزوج من تشاء ويقول المسيح: "من طلق امرأته لغير علة الزنا فقد زنا، ومن تزوج بمطلقة فقد زنا" (متى ٥:٣٢) وقد كان بولس يجد حرجاً في أن يسمح للأرملة أن تتزوج ثانية، ويظهر أنه لا يوافق إلا بأسف على أن يسمح للأرملة أن تتزوج بعد وفاة زوجها. ولكن بناموس الرب. أي بكل لياقة وأدب، وتكون أسعد حالا إذا بقيت كما هي. كما يسمح بالطلاق في الحالات التالية:

أولاً: الوفاة كما ذكر سابقاً.

ثانياً: إذا اعتنق أحد الطرفين الإيمان المسيحي ولم يقبل الطرف الآخر بُمسَاكنته.

ثالثاً: بطلان الزواج أو الطلاق الحاصل بموجب حكم مبرم من قبل المحكمة الزوجية المختصة. وذلك لأسباب تظهر عند عقد الزواج، أو تكون سابقة له أو تنشأ بعده.

رابعاً: يكون الزواج باطلاً بشكل مطلق أو يفسخ في الحالات التي يخالف فيها ما تحرمه الكنيسة تحريماً مطلقاً نحو:

١ ـ القرابة الدموية وقرابة المصاهرة لغاية الدرجة الثالثة.

٢ ـ قرابة المعمودية.

٣ ـ الزيجة القائمة.

٤ ـ الزيجة الثالثة السابقة.

٥ ـ الدرجة الكهنوتية أو الرهبانية .

٦ ـ ويكون الزواج باطلاً نسبياً بسبب إمكانية زوال الأسباب في الحالات التالية:

الإكراه ـ التقرير ـ عدم موافقة الأولياء ـ عدم بلوغ سن الزواج

ـ الولاية والوصاية ـ حالة الزواج بين الأقرباء الذين تربطهم قرابة دموية على الخط المنحرف أو مصاهرة في الدرجتين الرابعة والخامسة.

ويجوز الطلاق في الحالات التالية:

١ـ الزنا أو الفحشاء ٢ـ إذا أصيب أحد الطرفين بالجنون وبات الطرف الآخر تحت خطر فقد الحياة من زوجه المجنون. ٣ ـ الرهبانية. ٤ ـ التعدي على حياة الآخر ٥ ـ إن اعتنق أحدهما ديناً آخر.

آداب الزواج:

تطالب المسيحية بتقديس الزواج وإبعاده عن محافل الشيطان بحيث تكون حفلات الأعراس بعيدة عن الأغاني الفاحشة، والأشعار البذيئة والرقص الخليع، والكلام الشائن وفجوره المخجل، وضحكه السفيه.

ويقول القديس متى "إني أعرف أن ما أطلبه منكم سيظهر قاسياً للكثير منكم. إنه من الصعب التنكر للعادات القديمة، هذا لا يهمني كثيراً، لأني لا أفتش عن إرضائكم، وإنما أفتش عن خيركم ولا التمس ثناءكم وولاءكم، وإنما أبتغي كمالكم وخلاصكم".(متى١٢:٥٠)

لقد دعت المسيحية إلى الابتعاد عن العادات السيئة، وتكريس العادات الفاضلة. وجعل حفلات الأعراس بما تليق بهذه المناسبة الدينية. إذ أن ما يجري في هذه الأيام لا يدل على فضيلة. فالعري، والأغاني الفاحشة المثيرة والراقصات وشرب الخمر وفسح المجال لألاعيب الشيطان، فماذا ستكون النتيجة؟

لقد دعا رسل المسيحية وكهنتها إلى استبدال حفلات الشيطان

بولائم للفقراء والأرامل، لأن دعواتهم أفضل بكثير من أغاني الفاسقين. ويقول "يوحنا الذهبي الفم" (إن الفقراء الذين تعطونهم، يباركونكم، ويستمطرون لكم بصلواتهم كل أنواع النعم. أما الذين يملأ أجوافهم طعامك وخمرك فإنهم يتقيؤونها على رأسك بذاءات ورذائل، ويتخاصمون فيما بينهم بقبيح الكلام، حتى كأنهم يتنافسون فيمن يصيب على الزوجين الألفاظ القبيحة، ويزيد في تخجيلهما وحيرتهما").

التوبة الصادقة:

حثت المسيحية على التوبة الصادقة، وذلك على لسان السيد يسوع عندما خاطب المرأة الزانية، عندما شكاها مجموعة من الشيوخ بقولهم: قد أوصى موسى في الناموس أن ترجم مثل هذه، فماذا تقول أنت؟ ولما استمروا يسألونه قال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرميها بحجر... ولما خرج هؤلاء دون أن يرميها أحدهم انتصب يسوع، وقال لها: يا امرأة أين الذين يشكونك؟ أما حكم عليك أحد؟ قالت: لا يا رب. فقال يسوع: ولا أنا أحكم عليك اذهبي ولا تعودي تخطئين. (القديس يوحنا – ف ٨ ص – ١٧١).

المرأة في فكر لوثر وكالفن (الكنيسة الغربية)[١]

أما (لوثر) فقد خلفت بعض أرائه وعلاقاته وآدابه، حركة جدل واسعة، فأثارت الضجيج حولها مما اضطره للإفصاح عن حقيقة تلك

---

١ ـ انظر مفهوم الإنسان في فكر لوثر وكالفن. د. الشيخ، سامي – أطروحة دكتوراه- ص- ٤٩١.

الآراء للرد على الاتهامات التي وجهت إليه. فقد شاع عنه أنه يشجع على الزنا، ويسمح للزوجات بخيانة أزواجهن غير المؤهلين للقيام بواجباتهم الزوجية. فما كان منه إلا التنظير لأفكاره. فاعتقد أن صميم الأخلاق الزوجية بين الرجل والمرأة ينبغي أن يرتكز في الأساس على مبدأي التكافؤ والأهلية. وغياب ذلك سيلحق الأذى الذي لن يتوقف عند حدود الإشباع الجنسي والعاطفي فحسب، وإنما النيل المباشر من الكرامة الأخلاقية للإنسان، ففي مثل هذه العلاقة غير المتكافئة فإن (لوثر) يجد نفسه أمام مشكلة بالغة التعقيد. الأمر الذي انتهى بـ (لوثر) إلى حل ينسجم وروح العقيدة المسيحية والتقاليد الاجتماعية، فدعا إلى المساواة الأخلاقية بين الرجل والمرأة على الرغم من امتلاكهما جسدين مختلفين. فمثلما يتعين على المرأة أن تبجّل الرّجل يتعين على الرّجل أن يبجّلها: "أنا رجل وأنت امرأة، فلا يهزأ ولا يستخف الرّجل بالمرأة ولا بجسدها، ولا المرأة من الرّجل. ينبغي على كل واحد أن يشرّف الآخر ويبجّل صورته (مكانته).

وفي لحظة ما يساوي (لوثر) بين الرّجل والمرأة مساواة تامة. حتى أنه يوحّد بينهما عندما يقول: "يصبح الرجل امرأة عندما يؤمن الرجال بالله، والمرأة تصبح رجلاً عندما تخدم اللّه من خلال الأعمال". فالإيمان باللّه والقيام بالخدمة التي يأمر بها هو حد المساواة بين الجنسين. من هنا أخذ يتغنى بفضائل المرأة ومحاسنها.

"ربما ترى في الزوجة أشياء كثيرة جداً، أولها وجود بركات اللّه، أعني الذريّة **offspring** التي ينتج عنها مجتمع الملكيّة **Property** وهذه بعض الأشياء الجيدة التي تستطيع أن تغمر **Overwhelm**

الرّجل. تصور ماذا سيكون حال البيت، المدن، الحياة الاقتصادية من دون المرأة؟.

هذه المكانة الرفيعة والضرورية لكل مجالات الحياة التي تبوأتها المرأة في فكر (لوثر)لم تثنه عن طلب الاعتدال لأفراد الأسرة في المتعة واللهو بشكل لا يتعارض مع الآداب العامة في المجتمع فانتقد التبذل كما انتقد التزمت والتطرف في تطبيق التعاليم الأخلاقية.

هذا النقد الذي وصفه النقاد بالاعتدال لم يستطع أن يظهره، وهو القائل: "إن مشيئة الله الحبيب أن نأكل ونشرب ونمرح، إني أنشد المتعة وأتقبلها حيثما أجدها، ونحن نعلم الآن ولله الحمد، أننا نستطيع أن نكون سعداء وضمائرنا مرتاحة". وحث ناصحاً أتباعه بأن يحتفلوا ويرقصوا يوم الأحد.

وبينما أراد بعض الوعّاظ البروتستانت تحريم اللهو واعتباره نوعاً من الرذيلة ومضيعة للوقت، وابتعاداً عن ممارسة الطقوس الدينية والعبادة فان (لوثر) كان أكثر تسامحاً دون الإفراط في اللهو والمتعة التي تؤدي إلى الرذيلة "ينهى الله عن كل الأفكار والرغبات والأقوال الأفعال غير الطاهرة وغير النقيّة "[1]، وأما العاهر ون والزناة فسيدينهم الله "[2] إن الإفراط في طلب المتعة حمل داود الملك على ارتكاب خطيئة الزنا مع زوجة أوريا الحثي[3]، كذلك اتخذ (هيرودس الملك) امرأة أخيه زوجة له ."[4]

---

١ ـ لوثر ـ مارتن ـ شرح موجز لأصول التعليم المسيحي،ص٧٠.

٢ ـ عبرانيين ١٣ : ٤.

٣ ـ انظر ،٢ صموئيل١١.

٤ ـ مرقس٦:١٨ ـ (انظر المصدر السابق د. الشيخ،سامي ص٤٩٣– ٤٩٤).

ما المطلوب من المرأة:

جاء القرن العشرون بظواهر تخلّ التوازن والتكامل بين الرجل والمرأة. ففقدت المرأة أنوثتها واتصفت بمظاهر الرجولة. وفقدت الرجولة مظهرها، وتشبهوا بالأنوثة، وخاصة عند الشباب. فلا هذا راض ولا ذاك راض. فالمرأة تشعر بالضعف والكبت، والرجل تسيطر عليه ظاهرة التسلط والذكورة. المرأة تنادي والرجل يزداد قساوة بإصدار التشريعات فيزيد الطين بلّة وأصبحت المرأة تطالب بحقوقها، ويناغمها الرجل مطالباً بحقوقه.

ولو عاد ت المرأة إلى الله لوجدت أن الله قد أعطاها حقوقاً أعلى وأكثر تفوق مما تطالب به. فهي مكملة للرجل ولكن ليست بديلاً عنه. فهي أم وربة منزل مهمتها أكبر من أي مهمة عمل تزاوله خارج بيتها فهي الشمعة التي تحترق لتربي أولادها. وهي الصخرة التي تتكسر عليها كل الصعوبات التي تواجه الأسرة. فهي المسؤولة والراعية "وعلى الرجل أن يتغاضى عن هفواتها الصغيرة، ويغض النظر عن مساوىء زوجته لأنه كما يقول جبران خليل جبران "الرجل الذي لا يسامح هفواتها الصغيرة لن يتنعم بفضائلها الكبيرة "وعلى المرأة أن تبادل الرجل التسامح ليتحقق الوئام بينهما، وأن تدفن مشاكلها في إطار أسرتها، ولا تنظر إلا من باب المحبة"[1].

---

١ ـ المرأة في اللاهوت الكنسي — ص- ٢٠٧.

المـرأة فـي بيـت الإسـلام

- تقديم
- مكانة المرأة في الإسلام
- المساواة في الطاعة
- المساواة في التقوى
- المساواة في القصاص
- المساواة في طلب العلم وإتيان المساجد
- المساواة في الحقوق
- الزواج
- الطلاق
- التربية
- حق الميراث
- شرف الجهاد
- الحب الإنساني في الإسلام
- حرية المرأة
- الحجاب
- العمل

تقديم:

ها هي المرأة اليوم تحصد المراتب الأولى في التفوق والإبداع. فالمرأة لها دورها في الحياة العامة، والإسلام لا يمنع من ذلك. بل على العكس تماما يرحب بالمرأة على أن تكون جنباً إلى جنب في النواحي العامة مادامت ملتزمة بالشرائع والآداب العامة (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) (التوبة ٩- ٧١).هذا المجتمع هو مجتمع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . بقول رسول الله (ص): إنما النساء شقائق الرجال. مؤكدا قوله تعالى (إني لا أضيع عمل أحد منكم ذكرٍ أو أنثى بعضكم من بعض).

فليس هناك حاجز أو عداوة بين المسلم والمسلمة كما تفلسف ذلك بعض الديانات والمعتقدات والحضارات. فمن يتمعن بواقع المرأة في عصر النبوة يجدها السباقة في كثير من الأمور عن الرجل. وقفت إلى جانب الرسول (ص) من أول يوم للدعوة الإسلامية، حيث عاد الرسول من الغار مسرعاً إلى خديجة ليبثها سرّه. وأول شهيد في الإسلام لم يكن رجلاً بل كانت سميّة أم عمار وزوج ياسر رضي الله عنهم جميعاً.

كان للمرأة دور بارز منذ بداية التاريخ الإسلامي فقد نصرت

الدعوة.

وهاجرت إلى الحبشة كأسماء بنت عميس. وكانت مع من بايع الرسول (ص) في بيعتي العقبة مع الأوس والخزرج. وكانت بعد الهجرة ممن قاتلت مع الرسول في الغزوات، حتى ترجم البخاري باب غزو النساء وقتالهن اللاتي شاركن في غزوات النبي (ص) كنسيبة بنت كعب والتي قال فيها الرسول (ص) في غزوة أحد: (ما التفت يميناً أو شمالاً إلا وجدتها تقاتل).

لقد كرم الإسلام المرأة فنزلت عدة سور قرآنية تحمل اسم المرأة - مريم - الممتحنة - المجادلة - ونزلت آيات كثيرة تتحدث عن المرأة بكل صراحة ووضوح مبينة ما لها وما عليها. ولم يكن للمرأة دور أو مكانة كما كان لها بعد الدعوة الإسلامية.

ثم جاء دورا لتراجع مع تراجع الحضارة الإسلامية، وتخلف المسلمين وانعكس ذلك على المرأة المسلمة. فارتفع صوت الباطل ليشحذ سكينه على المرأة .وانطلقت الإشاعات والفتاوى المعتمدة على الجهل والخوف، وعلقت على مشجب الدين الذي هو منها براء. فقالوا عن المرأة: (شاوروهن وخالفوهن). و(دفن البنات من المكرمات). ومنعت المرأة من الذهاب إلى المساجد. أو لتلقي العلم. فكثيراً من النساء عشن ومتن دون أن يركعن لله ركعة. لأنهن لم يجدن من يعلمهن. وفاقد الشيء لا يعطيه. فالأب لم يتعلم ليعلم، والزوج لم يتفقه ليفقه.

حتى إن بعض الرجال في زماننا هذا مازال يخجل من اسم امرأته فيقول: الجماعة، أم العيال، أم الأولاد، ويصل بهم الجهل إلى أن

يقول عند ذكر اسم المرأة ـ أعزك الله ـ وكأن اسمها نجس أو رجس من الشيطان. وهذا ما يخالف ما نزل في القرآن الكريم وما لم يتحدث به رسول الله (ص). فالرسول (ص) كان يخرج مع زوجاته، ولا يجد أي مشكلة في التعريف عليهن بأسمائهن.[1]

ومع هذا كانت النساء في عصر النبوة تذهب إلى المساجد، ولم يكن هناك طرقات أو إنارة كما هو اليوم. قال رسول الله (ص): لا تمنعوا إماء الله مساجد الله. وما زلنا نقرأ عن عائشة وحفصة وأسماء دون أن نخجل منها وهن أمهات المؤمنين والصحابيات، وأين نساء اليوم منهن؟ حتى نخجل من نساء اليوم ولا نخجل من نساء عصر النبوة.

لقد أضاعوا حقا للمرأة في غلوّهم وإفراطهم، واتبعوا أقوال فلاسفة وشعراء همهم رمي عبارات مغلفة و مؤطرة بالتنمق ومحشوة بالجهل والحقد دون مسؤولية يلصقونها تارة بالعلماء وتارة بالدين ليضل بها ضعاف النفوس. فهذا أحد الشعراء يقول:

إن النساء رياحين خلقن لنا ... وكلنا يشتهي شم الرياحين

ويرد عليه آخر:

إن النساء شياطين خلقن لنا ... نعوذ بالله من شر الشياطين

أين هؤلاء من قول الله تعالى ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ فالمرأة لم تخلق لنا، خلقت لنفسها، وللرسالة التي خلق من أجلها الرجل والمرأة على حد سواء وهي عبادة الله،. فالمرأة لم تخلق للذة الرجل كما يفهم ضعاف النفوس فهذا من ذاك وكل كالآخر.

وعجباً لشاعر آخر يقول:

---

١ ـ من خطبة للشيخ د. يوسف القرضاوي.

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

وكأنه لم يقرأ التاريخ الإسلامي ولا التاريخ العربي. هذه النظرة ليست من الإسلام في شيء. إنهم يريدونها بهيمية ترضي شهواتهم، وغرائزهم. وآخرون ارتضوا أن تكون المرأة حبيسة البيت حتى أن بعض العلماء أفتى في ذلك قائلاً: لا تخرج المرأة من بيتها إلا لمرتين، فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو بعدلهن أي بالزواج. حتى أن بعض الدول الإسلامية والعربية منعت المرأة من حق التصويت والانتخاب.

إذا قلنا أن المرأة نصف المجتمع، فربما هذا القول من الناحية العددية صحيح. والحقيقة أنها أكثر من النصف لأنها تؤثر في الكل إيجابا أو سلباً.

إن تقييم سير المرأة وحركتها في إطار المرجعية الإسلامية يقف على مدى انضباطها بالقيم والقواعد الشرعية ورفض ما عدا ذلك. فالإسلام أمة ملتزمة بدستور أنزله الله تعالى لعباده كافة، لا تغيره قرارات للأمم المتحدة ولا مجلس الأمن. ولا رغبة فلان أو فلان من الناس فأحكام الشريعة انبثقت من ما تحتاجه أهداف الحياة، فرسالتنا وفلسفتنا تختلف عن رسالة الغرب. قال الله تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾.

وبحمد الله، نهضت المرأة المسلمة من جديد، وعادت إلى الشريعة بصحوة إسلامية، كان الحجاب ظاهرة شاذة حاربه المضللون من الشرق والغرب. وها هو اليوم ظاهرة منتشرة طوعيّة اختيارية بفضل الله والوعي النسائي المعتمد على الصحوة الإسلامية المنضبطة للحفاظ

على كرامتها ومكانتها في المجتمع وفي حدود هذه الضوابط يجب أن يكون سير المرأة.

مكانة المرأة في الإسلام

اعتمد الإسلام في بنيته على الأسرة، وركز على المرأة فيها. فهي الأم والأخت والابنة والزوجة والعمة والخالة. فإذا صلحن صلح المجتمع، وإن فسدن فسد المجتمع، ونشأ جيل جديد متفسخ لا يرجى منه. لذا حرص الإسلام على بناء الأسرة بناء سليماً يمنعه من التردي والسقوط. ومما لاشك فيه أن للمرأة دور هام وهو من أقدس ما كلف به إنسان لأنها تبني القيم الإنسانية في هذا المخلوق الذي فضله الله على باقي مخلوقاته.

فقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تدل على مكانة المرأة. ولست في مجال حصيها، وإنما ابرز بعضاً منها للإطلاع:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾. لقمان -٩٤.

فقد قرن الله شكره بشكر الوالدين لما لهما من فضل على الأبناء. كما حدد واجبات الأبناء ورعايتهما لوالديهما، وفرض الطاعة لهما بعد الله إذ قال تعالى: ﴿وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ الاسراء٢٣ - ٢٤.

أما الرسول (ص) فإن ما أثر عنه أنه كرّم المرأة وأعطاها من المكانة ما لم تأخذه امرأة في أي دين سابق.

فقد قال: "ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم" الترمذي.

كما حض على تأديب الفتاة لأنها أم المستقبل، ولبنة الأسرة فقال(ص):

(من كان له ابنة فأدبها فأحسن تأديبها، وغذاها فأحسن غذاءها وأسبغ عليها من النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار إلى الجنة). رياض الصالحين.

وما أكثر الأحاديث النبوية الشريفة التي توصي بالأم . ومنها يقول الرسول الأعظم(ص): إن الله يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم ثم يوصيكم بالأقرب فالأقرب. هذه أمثلة بسيطة على مكانة المرأة في الإسلام.

ولو عدت إلى كتاب الله وتمعنت فيه. وإلى السنة النبوية متفحصاً متبصراً وهما مصدرا العقيدة الإسلامية ومنبعا التشريع لوجدت المكانة اللائقة التي تحتلها المرأة فيهما من رعاية وعناية ومن تنظيم عادل للمعاملات التي تخص المرأة من زواج وطلاق وميراث وحقوق وواجبات وغيرها من الأمور. التي لم تكن لها من قبل الإسلام. في حين أن الأديان السابقة لم تنصفها ولم تعطها حقها كما قدرت تحت ظل الإسلام.

المساواة :

جاء الإسلام يحمل راية المساواة بين الرجل والمرأة إنسانيا. لأن الإسلام دين الفطرة. دين مجتمع يفترض به أن يكون صالحاً. ولا يصلح المجتمع إلا إذا صلح أفراده ذكوراً أو إناثاً. ولا تعني المساواة أن يكون للرجل والمرأة نفس المهام والواجبات، و إنما لكل منهما مهام

وواجبات حسب قدراته وإمكانياته، كما أنه لا يعني هذا فضلاً لأحدهما على الآخر، و إنما هما سواسية أمام الله تعالى لقوله: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ النحل:١٦ ـ٩٧.

المساواة في الطاعة:

لقد وردت آيات عدة تبين حق المساواة في الطاعة لله تعالى إذ قال الله في كتابه الكريم ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير﴾. لقمان/١٤.

فقد أوصى الله عبادة – ووصية الله فرض على العباد – بطاعة الوالدين، والشكر لله لم يفرق بين ذكر أو أنثى.

لقد بين الله تعالى للناس أنهم جميعاً من نفس واحدة ذكوراً وإناثاً إذ ساوى بينهم في المساءلة أمام الله تعالى عن أعمالهم التي أمرهم بها الله إذ قال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾. النساء/١.

والإسلام لم يفرق بين لون ولون. ولا بين فقير أو غني. ولا بين ذكر أو أنثى، وإنما فضل البعض على الآخر بالتقوى وطاعة الله إذ قال في سورة الحجرات ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾.

كما ساوى الله تعالى في الجزاء والعمل لمن يعمل الصالحات فجزاؤه الجنة.

المساواة في القصاص

لقد أكد الرسول(ص) هذه المساواة بين الناس جميعاً في قوله الشريف: (الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى). هذه المساواة الإسلامية اشترطت بالتقوى، والابتعاد عن الشرور والآثام. إذ لم تكن المساواة في الجاهلية موضع بحث. فهناك فروق بين الغني والفقير، والسيد والمسود، وابن القبيلة وابن عامة الناس. فأين ستكون المساواة بين الرجل والمرأة والتي يعتبرها كمتاع له، لاحق لها في شيء.

وجاء الإسلام ليضع النقاط فوق الحروف، وليبين للناس كافة أن جميع المسلمين ذكوراً وإناثاً تحت تنفيذ الأحكام لا فرق بين امرأة وأخرى ورجل وآخر. وتأتي حادثة فاطمة المخزومية التي سرقت شاهدة ودرساً استوعبه كافة الناس. عندما توسط لها أسامة بن زيد مولى رسول الله (ص) متشفعاً لها بعد أن سرقت. فغضب رسول الله (ص) وقال موجهاً حديثه إلى أسامة بن زيد: أتشفع في حد من حدود الله؟ إنما أهلك الذين من قبلكم. أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.

ومع كل هذا فإن الله جل جلاله قد ساوى في تشريعه في تنفيذ القصاص إذ قال في كتابه الكريم: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى، فمن عُفي له من أخيه شيء فاتّباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب

أليم﴾. البقرة/١٧٨.

لقد كان القصاص قبل الإسلام لدم الرجل فقط ولا قيمة لدم المرأة. فجاء التشريع الإلهي ليساوي بين دم المرأة والرجل.

وذلك للمحافظة على المجتمع الإسلامي نظيفاً سليماً من الأمراض الجنسية التي نراها اليوم، والعلاقة الزوجية بشكل مستقر، ولمنع الجريمة التي كانت ترتكب باسم العار والشرف، والحد من جريمة الوأد التي كانت سائدة. ووضع حد لجرائم العهر و الزنا والمجون التي كانت دون رقيب، أو محاسبة من المعتقدات الوثنية أو غيرها، فجاء الإسلام ليضع التشريع المناسب للرجل والمرأة على حد سواء. فقال تعالى: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾. النور/٢.

فالإسلام قرن بين الرجل والمرأة في التمجيد والثواب، وفي أحكام القصاص والعقاب.

المساواة في طلب العلم وإتيان المساجد:

لقد كانت الأمية في الجاهلية متفشيّة بين الرجال والنساء على حد سواء. فأول كلمة نزل بها الوحي على الرسول الأعظم (ص) اقرأ. فالإسلام دين العلم، وهو فريضة على كل أتباعه كما روى أنس رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم). فالإسلام ساوى بين المرأة والرجل في طلب العلم بما تستقيم بهما دنياهم وتصلح به آخرتهم والدنيا هي رحلة للآخرة من هنا كان الخطاب الإلهي موجها لعامة المسلمين الذين هم سواسية أمام

الله تعالى وأكد على ذلك الرسول الأعظم (ص) في أحاديث عدة منها قوله: (من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة. وأن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع).

لذلك حرصت النساء الصحابيات على لقاء رسول الله (ص) لتلقي العلم من أعلى مصادره، إذ لم تكن حلقات العلم وخطب رسول الله (ص) وقفاً للرجال فقط دون النساء. وروى البخاري عن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله (ص) فقالت: يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. فقال: اجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا، فاجتمعن فأتاهن رسول الله (ص) فعلمهن مما علمه الله.

لقد سمح الإسلام للمرأة بتلقي العلم في المراكز والمساجد والمدارس والمجالس التي يشع منها العلم والعبادة والنشاط الاجتماعي في حدود الشرع، بما يعود بالخير الديني والدنيوي عليها وعلى المجتمع.

وإن كان بعض رجال الدين ممن أفتوا بعدم جواز المرأة بإتيان المساجد، فتلك فتوى قبيلة أو عشيرة وليست فتوى من الدين. إذ أن ما روي عن الرسول الأعظم (ص) قوله: إذا استأذنتكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن)[1].

لقد كانت المساجد تجمع في صفوفها النساء كما الرجال حتى أن بعضهن كن يصطحبن صغارهن ولم يكن يمنعهن أحد، لأن فضل

---

١ ـ رواه البخاري وأبو داود والترمذي وأحمد من حديث عبد الله بن عمر.

صلاة الجماعة تفوق غيرها بمرات عديدة. فضلاً عن الفوائد الأخرى كالتعرف على أخواتها المسلمات، وتوثيق عرى الأخوة والمودة بينهن وسماع دروس التوجيه والإرشاد بما يفيد حياتها.

ولم تكن المجالس حصراً على الأمور الدينية، وإنما هناك كواكب من النساء برعن في الأدب والأخلاق، كالسيدة سكينة بنت الحسين بن علي سيدة نساء عصرها.

حيث اجتمع عندها يوماً جرير والفرزدق وكثير وجميل. فنقدت شعر كل منهم ثم أجازت كلاً منهم بألف دينار[1].

وكانت عائشة بنت طلحة بن عبد الله من النساء اللاتي نبغن في الأدب، وفدت على هشام بن عبد الملك ذات يوم فقال لها: ما أوفدك؟ قالت: حبست السماء المطر، ومنع السلطان الحق. قال: إني سأعرفه حقك. ثم بعث إلى مشايخ بني أمية فقال: إن عائشة عندي فاسمروا عندي الليلة. فلما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارهم وأيامهم إلا أ فاضت معهم فيه، وما طلع نجم ولا أغار إلا سمته، فقال هشام: أما الأول فلا أنكره، وأما النجوم فمن أين لك؟ قالت: أخذتها عن خالتي عائشة. فأمر لها بمائة ألف درهم وردها إلى المدينة[2].

لقد أوجب الإسلام على أمهات المؤمنين تلاوة القرآن الكريم وتدبره وتعلم العلم. قال تعالى: ﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾ الأحزاب /٣٢/٣فكانت السيد عائشة أم المؤمنين تشتهر بالرواية والفقه و الفتيا، والتاريخ والنسب، ورواية الشعر والطب

---

١ ـ تاريخ الإسلام ج١ /٥٤٧/.

٢ ـ المصدر السابق.

وعلم النجوم. حتى قال فيها الرسول الأعظم (ص) خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء. وكذلك أختها أسماء بنت أبي بكر. لقد سمح الرسول (ص) لأم ورقة أن تكون إمامة للنساء، ثم جاء بعض العلماء فيما بعد ولم يسمحوا للمرأة بالإمامة. ولما احتج عليهم بأم ورقة أجابوا: كانت امرأة قوية الشخصية! والسؤال: هل كل امرأة قوية الشخصية يحق لها الإمامة؟ والجواب: أن للإمامة شروط ومواصفات ومن أهمها الفقه والتعلم .ولكل فتوى زمانها ومكانها وحالتها قد تختلف باختلاف الزمان والمكان والأشخاص. والدين يبعث على التجدد، والتجدد يعني الحيوية مع الاحتفاظ بالأصل، بينما التطوير يعني إزالة الجذور وإقامة بناء جديد، لذلك من الضروري أن تفقّه المرأة نفسها لتكون قادرة على المشاركة في إصدار الفتاوى إسوة بالرجال.

المساواة بالحقوق

لقد أعطى الإسلام الحرية للمرأة للاستفسار عن حقها في الدين والدنيا دون استحياء. فكانت الصحابيات يستفسرن من الرسول (ص) عن أدق الأمور التي تُعّرف المرأة في دينها وحتى ما يتعلق بطهارتها وجسدها.

وهاهي أسماء بنت يزيد تأتي الرسول (ص) وتقول له: يا رسول الله. إني رسول من ورائي جماعة من النساء المسلمين. كلهن يقلن بقولي، وهن على مثل رأي. إن الله عز وجلّ بعثك إلى الرجال والنساء كافة. فآمنا بك، واتبعناك. ونحن معاشر النساء مقصورات مخدرات، قواعد بيوت، ومواضع شهوات الرجال، وحاملات أولادهم، وأن الرجال فضلوا بالجمعات، وشهود الجنائز والجهاد في سبيل الله،

عز وجل.. وإذا خرجوا للجهاد حفظنا لهم أموالهم وربينا أولادهم، وغزلنا أثوابهم، أفنشاركهم في الأجر يا رسول الله؟

فالتفت الرسول(ص) إلى أصحابه وقال: هل سمعتم مقالة امرأة أحسن سؤالاً عن دينها من هذه؟ فقالوا: لا يا رسول الله. فقال رسول الله (ص) لأسماء (ر): "انصرفي يا أسماء، واعلمي من وراءك من النساء أن حُسْنَ تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها لمرضاته، وإتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال". [1]

فانصرفت أسماء فرحة وهي تهلل وتكبر استبشاراً بما قاله لها رسول الله (ص).

الزواج:

أو النكاح: وهو عقد شرعي بين زوجين يحل لكل منهما الاستمتاع بصاحبه. والحكمة منه:

١- الإبقاء على ديمومة التناسل بشكل شرعي.

٢ ـ الحاجة لكل من الزوجين لتحصين نفسه وفرجه.

٣ ـ التعاون المشترك بين الرجل والمرأة على تربية الأبناء، والمحافظة عليهم.

٤ ـ تكوين خليّة مجتمعية لبناء المجتمع. قائمة على الاحترام والثقة المتبادلة بين أفرادها.

ومن أركان النكاح:

١ ـ موافقة الولي وحضوره العقد الشرعي.

---

١ ـ نساء حول الرسول /٤٩٢.

٢ ـ موافقة الزوجة ثيباً أم بكراً. وهناك أحاديث نبوية كثيرة تؤكد ذلك كقول الرسول(ص): ((لا تنكح الأيم حتى تستأمر و لا البكر حتى تستأذن)).

٣ ـ وجود شاهدين.

٤ ـ عقد شرعي على سنة الله ورسوله.

(ويمكن العودة إلى كتب الفقه والشريعة للإطلاع بشكل أفضل على التفاصيل).

لقد وضع الإسلام آدابا وحقوقاً بين الزوجين لقوله تعالى ﴿ ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ البقرة ٢٢٨

ومن الآداب المشتركة على الزوجين:

١- المودة والرحمة بينهما. لقوله تعالى: ﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

٢- الآداب العامة بينهما من احترام لكل منهما ولأهليهما.

٣- الصدق والأمانة والنصح والإخلاص في كل مناحي الحياة .

٤- الثقة المتبادلة والنظر من كل واحد للآخر نظرة محبة.

٥- دفن مشكلاتهما الزوجية والعمل على حلها بالتفاهم والتراضي.

وكما وضع الإسلام حقوقاً عامة للزوجين وضع بالمقابل حقوقاً خاصة لكل منهما فللمرأة حقوق كثيرة تستطيع بما لها من حق أن ترفض الزواج من أي رجل إن كانت غير راغبة به متزوجاً كان أم أعزبَ و لا تنكح إلا بموافقتها ولا يجوز إكراهها ، وكل زواج بالإكراه باطل.

و قوله: "إن الثيب أحق بنفسها من وليها، والبكر تستأذن وإذنها سكوتها".

وقد أبطل الرسول (ص) زواج فتاة من ابن عم لها دون مشيئتها. لكن الإسلام رفض أن تعترض المرأة على أخت لها قبلت بالزواج من رجل متزوج لأنها ارتضت ذلك لنفسها. أو أن تشترط في الزواج طلاق زوجته على ذمة الخاطب.

كما بيّن الشرع الإسلامي حقوق الزوجة على زوجها و تتمثل في قوله تعالى:

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ البقرة (٢٢٨)، وقول رسول الله (ص): (إن لكم من نسائكم حقاً و لنسائكم عليكم حقاً) "الترمذي" فبدأ قوله تعالى بـ (ولهن) ليؤمن حق المرأة، ويقتضي ذلك أن يقدم الرجل للمرأة كل ما يطلب منها. لقول عبد الله بن عباس "أحب أن أتزين لامرأتي كما تتزين لي ولا أحب أن أستنطق حقوقي عندها فتستنطق حقوقها عندي".

ومن هذه الحقوق النفقة في الإطعام و الكساء والسكن والمعاملة الحسنة وعدم هجرها إلا ما تحدد في الشرع. والعدل بينها وبين ضرتها وزيارة أهلها وأقاربها بما لا يضر بمصالح زوجها. والمتعة بما أحل الله بينهما. والإقامة عندها عند دخوله بها سبعة أيام إن كانت بكراً، وثلاثاً إن كانت ثيباً. وعدم إفشاء سرها وعيوبها والذود عنها. وللزوج حقوق على زوجته تتمثل بقول رسول الله (ص): (خير النساء التي إذا نظرتَ إليها سرتك، و إذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت حفظتك في نفسها ومالك)" الترمذي وغيره"

وسئل رسول الله (ص) ما حق المرأة فقال: (أن تطعمها إن طعمت وتكسوها إن اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت) رواه أبو داوود بإسناد حسن.

ومن أول حقوق المرأة "المهر" وهو منحة من الله فرضه على الرجال صدقة للنساء. هذه المنحة ليس لها مقابل إلا الوفاء ولا يجوز العقد إلا بها كما لا يجوز التنازل عنه إلا بعد عقد القران مشروطاً برضاء الزوجة. استناداً لقوله تعالى ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نِحْلَة، فان طِبْنَ لكم عن شيْ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ (النساء آية/٤) والإسلام حث على تيسير هذا الحق بما يسهل الزواج ليطمئن الناس على بناتهم وأولادهم كما طالب بعدم المغالاة في المهور. فالرسول (ص) طلب من أحد أصحابه مهراً لعروسة بخاتم من حديد. وعندما لم يجد قبل منه سور يحفظها من القرآن الكريم. ولم يتنازل عن حق العروس بمهرها.

كما أن هذا الحق "المهر" لا يحق لأحد أياً كان أباً أو أخاً أن يتصرف به دون موافقة الفتاة على ذلك. ولها الحق أن تتصرف به كما شاءت. حيث كان سابقاً يعطى لأهلها دونها.

كما أن من حقوقها على زوجها أن يعلمها شؤون دينها وعلومه، إن كانت لا تعلم. فمعرفة الزوجة بأمور الدين لا يقّل أهمية عن الحاجة إلى الطعام والكساء لقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾ التحريم /٧ وقول رسول الله (ص): (استوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوان - أسيرات - عندكم)متفق عليه. فإن صلاح دين المرأة ضمان لبناء أسرة مستقيمة.

وقد بيّن الإسلام عدم التسرع في اختيار الزوجة. إذ وضع قواعد

يستحسن للشاب إتباعها قبل الخطبة، وهي اختيار الزوجة المستقبلية فقال تعالى: ﴿وانكحوا الأيامى ـ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم﴾ (النور ٣٢) وقال رسول الله (ص): «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولدينها ولجمالها فاظفر بذات الدين تربت يداك» .ويعني ذلك أن على الشاب أن يختار صاحبة السلوك الحسن، الطائعة لله. عندها يغنيك الله عما دون ذلك.

أما بالنسبة للزواج من المرأة الكتابية، فان الله أجاز ذلك للمسلم، لعل إيمانها يترسخ بالدخول في الإسلام حين تعيشه. وهذا يتوقف على نشاط الزوج المسلم، وشخصيته الإسلامية الحقة، ومتابعته تربية أولاده. وكم من كتابيات من بلاد الشرق والغرب أسلمن وحسن إسلامهن. وكم من امرأة كتابية من تلك البلاد استهترت بزوجها وبمجتمعها الجديد ولم تستطع صبراً، وعادت من حيث جاءت.

ومن شروط الزواج أنه لا يجوز زواج الرجل العفيف من امرأة مومس إلا بعد أن تتوب إلى الله. وكذلك لا يجوز زواج المرأة الحرة برجل فاجر. وكذلك من تزوج بزانية فهو زان مثلها (الزانية لا ينكحها إلا زان) كما لا يجوز الزواج من مشركة غير كتابية .وبالتالي لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج إلا من مسلم.

كما يحق للخاطب أن ينظر إلى المرأة المنوي زواجها لقوله (ص): «إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر إليها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته وإن كانت لا تعلم»[1].

---

١ ـ تحفة العروس- ص .٥٥.

لقد حرص الإسلام على أن تكون علاقة الزوج بالزوجة قائمة على المعروف. وإذا حدث خلاف أدى إلى طلاق فليحدث في حدود تكريمها وعدم امتهانها أو ابتزازها. والآية الكريمة تقول: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئاً﴾ البقرة آية /٢٢٩.

وهكذا يكون الصداق حقاً خالصاً للمرأة[1].

الطلاق:

وكما جعل الإسلام للزواج شروطاً، جعل للطلاق شروطاً ساوى فيهما بين الرجل والمرأة. إلا في نطق كلمة الطلاق - وعلى الرغم من الإباحة بالطلاق إلا أن الإسلام درس هذه المشكلة جيداً ووضع الأسباب والحلول وأعطى فرصاً للزوجين لدراسة مشكلتهما قبل أن ينفك عرى هذا الرباط المقدس. والذي وصفه رسول الله (ص) أنه أبغض الحلال عند الله.

لكن الطلاق لا يقع إلا إذا كان الرجل قاصداً التفريق بينه وبين زوجه التي يعنيها. إذ أنه يتحمل الأعباء المالية المترتبة عليه من وقوع الطلاق.. كما أباح الشرع للمرأة أن تشترط في عقد الزواج أن يكون أمرها في يدها تطلق نفسها متى شاءت.

وبما أن رباط الزوجية هو أساس بناء الأسرة، فمن الخطر أن يوضع في أيدٍ غير مسؤولة. ومما يعرف عن طبيعة النساء من سرعة

---

(١) - إسلام بلا مذاهب - ص - ٩٢.

الانفعال، والتأثر بأوهى الأسباب. فلو وضعت العصمة في يدها لتعرضت للخطر عند حدوث أقل المؤثرات.[1]

لقد أباح الله الطلاق عند الضرورة التي لايمكن فيها الإصلاح بين ذات البين، وقطع كل وسائل التفاهم بين الزوجين .لكنه أمر ببذل الجهد للإصلاح بينهما لقوله تعالى: ﴿وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾. النساء ٣٥/٤ وقال تعالى: ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾. النساء ٣٤/٤.

فإذا وضع الإسلام الطلاق بيد الرجل فإن الإسلام قد وضع قيوداً، ورسم له منهاجاً يكلفه ثمناً باهظاً عند التصرف به دون وعي أو مسؤولية. فيلزم بدفع الصداق للمرأة المطلقة، ونفقة لها ولأولادها القاصرين، وصداقاً جديداً للزوجة الجديدة، قال تعالى: ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً، فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثما مبيناً﴾ النساء ٢٠/٤.

كما جعل الإسلام للمرأة الحق في فسخ عقد الزواج بالخلع. شريطة أن تعوض الرجل عما يتعرض له من خسارة. لقوله تعالى: ﴿فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به﴾ البقرة ٢٢٩/٢. مع التحذير للرجل بالمساومة، أو إساءة المعاملة بالابتزاز .

هذه مشكلة الطلاق بعجالة من القول في مجتمعاتنا الإسلامية وللتفصيل يمكن العودة إلى المراجع الفقهية والشرعية للسادة العلماء

---

١ ـ تاريخ الإسلام ص ١٨٠.

للإطلاع على الأسباب والحلول والأنواع والحقوق لكلا الزوجين، هذا الحق الذي يتهم فيه الإسلام باللامساواة بين الرجل والمرأة.

ولكن لو نظرنا إلى حال من يتهم الإسلام لوجدنا المثل العربي القائل:" الجمل لا يرى عوجة رقبته "فالارتباط الغربي والأمريكي يقوم تحت اسم الصديق أو الصديقة دون أي عقد كنائسي، ولو تم عقد عرفي فانه يتم بعد انقضاء سنوات طويلة على الارتباط دون شروط أو صداق. ولا يكلف الرجل في المسجل لدى الحكومة فإن الزوجة لها الحق بأن تضع يدها على نصف ممتلكات الزوج لذلك نرى إن الطلاق يكون شفهياً. بعد أن أسرعا كلاً من الزوجين للبحث عن شريك آخر قبل فوات الأوان. لذلك نرى أن نسبة الطلاق في أمريكا قد تجاوزت ٨٠٪ في حين أنها قد بلغت في ألمانيا ما يزيد عن ٤٥٪ واضطرت أسبانيا وايطاليا إلى الموافقة على استصدار قانون الطلاق في عام ١٩٧٩ دون أن تضعا أي قوانين تحمي المرأة بعد الطلاق. في حين أن نسبة الطلاق في بلد إسلامي كسورية مثلاً لاتزيد عن١١٪ من مجموع عدد السكان.

مقترحات:

من أجل عدم الانزلاق إلى هذه المشكلة، وللعيش في سعادة وهنا لابد من إتباع تعليمات المشرع لديننا الحنيف في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وتتلخص:

١ ـ عدم اللغو والتياهي بكلمة الطلاق. لأن الرسول الأعظم(ص) قال: ﴿ثلاث جدّهن جدّ وهزلهن جدّ النكاح والطلاق والرجعة﴾.

٢ ـ النية الصادقة بالزواج.

٣ ـ الاختيار الحسن للزوج أو الزوجة.

٤ ـ عدم الخداع بالمهور المرتفعة، أو الوعود الكاذبة.

٥ ـ عدم استخدام عبارة الطلاق كورقة ضغط على الزوجة لابتزازها مالياً وجسدياً.

٦ ـ توثيق عقد الزواج منذ اليوم الأول في المحاكم الشرعية.

"لقد جعل الله تعالى من الطلاق مغنماً للرجل وربطه بالمهر والنفقة اللذين جعلهما الله مغرماً عليه. وفي المقابل فقد جعل الله من المهر والنفقة مغنماً للزوجة وربطهما بالطلاق الذي جعله الله مغرماً عليها"[1].

فإذا عولجت الجراح بهذا الضماد يحين عندئذ أن تذكّر بقول الله عز وجل: ﴿وإن يتفرقا يغن الله كلاً من سعته﴾ النساء ٤/١٢٩

وعي المرأة

لقد رفع الإسلام من وعي المرأة مما دفع بهذه الأمة إلى الحضارة فكانت المشعل الذي ينير الدرب أمام الزوج و الولد لخدمة الدعوة والفتح للدين الجديد غير هيّابةٍ ووجلة، والأمثلة و الأدلة كثيرة. " وها هي الصحابية التي رأت زوجها يتخلف عن الاندفاع نحو منادي الجهاد فسألته: ما الذي يجعلك تقدم رجلاً وتؤخر الأخرى؟ فقال لها: أخاف على أولادي الصغار فلا يبقى لهم معين. وكانت إجابتها داوية في أذن الزمان: اذهب فإنا نعهدك أكالاً و لا نعرفك رزاقاً !! إنما الرزق على رب العباد"(نساء حول الرسول).

---

[1] ـ المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني ـ د.محمد سعيد رمضان البوطي.

وها هي الخنساء تستقبل خبر استشهاد أولادها وتقول قولتها المشهورة: "الحمد لله الذي شرفني باستشهادهم". تلك النساء التي تقف على قلوبها تتحدى اليأس وتتفاخر بالإيمان.

لقد جعل الإسلام من شخصية المرأة مثالاً للوعي وأعطاها الحق لأن تفتي المسلمين في أمور دينهم كما فعلت السيدة عائشة أم المؤمنين، وهو الذي جعل المرأة تواجه الخلفاء كما فعلت الصحابية التي ذكّرت عمر رضي الله عنه بسنة رسول الله (ص) في مهور النساء فقال: أصابت امرأة وأخطأ عمر.

وهاهي خولة بنت ثعلبة التي خاطبت عمر وقالت له:"يا عمر عهدتك و أنت تسمى عميراً في سوق عكاظ ترعى الصبيان بعصاك فلم تذهب الأيام حتى تسمى عمراً ثم تذهب الأيام وسميت أمير المؤمنين، فاتقِ الله في الرعية، و اعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت عرف الفوت ومن أيقن بالحساب خاف العذاب" وعمر واقف أمامها فقال أحد واقفيه: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين. فقال عمر: "دعها أما تعرفها، هذه خولة التي سمع الله قولها من سبع سموات وعمر أحق والله أن يسمع لها". نساء حول الرسول/٤٥٨/.

التربية:

لقد كرّم الإسلام المرأة المسلمة في حياتها فانطلقت على هدى من الله تعالى الذي أنزله في كتابه وسنة نبيه الكريم(ص) وانعكس ذلك على تربية أبنائها تربية صالحة. فهاهي أم سليم بنت ملحان والدة الصحابي الجليل أنس بن مالك. ما أن أصبح فتى حتى أخذته من يده

إلى الرسول(ص) وعرضت عليه أن يكون فلذة كبدها خادماً عنده، لينهل من تعاليم سنته النبوية الشريفة. فما كان من الرسول الكريم (ص) حتى رحب بها وأقر عينها بما طلبت.

ولم تقتصر التربية على الأمور الدينية بل كانت في جميع مناحي الحياة. فها هي أسماء بنت خارجة الزاري توصي ابنتها ليلة زفافها: " أي بنيّة.. إنك مفارقة بيتك الذي فيه ولدت، وعشك الذي فيه درجت، إلى بيت لم تعرفيه... وقرين لم تألفيه، ... فكوني له أمة يكن لك عبداً... وكوني له أرضاً يكن لك سماء... وكوني له مهاداً يكن لك عماداً... لا تلحفي به فيقلاك، ولا تباعدي عنه فينساك، إن دنا منك فأقربي منه... وإن نأى عنك فابعدي عنه. واحفظي أنفه وعينه وأذنه. فلا يشمنّ منك إلا طيباً، ولا يسمعَنّ إلا حسنا.. ولا ينظرَنّ إلا إلى جميل".

وقال رجل يوصي زوجته ليلة زفافه:

خذي العفو مني تستدعي مودتي ... ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرّة ... فإنك لا تدرين كيف المغيّب

ولا تكثري الشكوى فتذهب بالهوى ... فيأباك قلبي والقلوب تقلب

فإني رأيت الحب في القلب والأذى ... إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

ونعم المربية الخنساء بنت عمرو، والتي وصفها النبي(ص) بأنها أشعر الناس. فلما حمي الوطيس، امتحنت الخنساء مرة ثانية بعد وفاة أخيها صخر. باستشهاد أولادها الأربعة. بعد أن ربتهم التربية الإسلامية السليمة. في أرض المعركة جمعت أولادها وحرضتهم على القتال،

وعدم الفرار، وحببت إليهم الشهادة في سبيل الله فقالت لهم كلمات كلها إيمان بالله: "أيا بَني إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين. والله الذي لا اله إلا هو إنكم بنو امرأة واحدة، ما خنت أباكم، ولا فضحت خالكم، ولا هجنت حسبكم، ولا غيرت نسبكم. وقد تعلمون ما أعدّ لله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين. وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية. يقول الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾[1].

فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين، فاعدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، وجللت ناراً على أوراقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة في الخلد والمقامة[2] هذه المرأة المسلمة التي تربت في الإسلام، وقدمت أولادها شهداء في سبيل الله هي التي علّمت بعدها نساء سرن على هديها كأم الشهيد الفلسطيني محمد فرحات والتي بقيت أمه ترضعه حب الشهادة ساعة بساعة حتى قضى نحبه في سبيل الله. لقد كرّم الإسلام المرأة وتلك وغيرهن نماذج من المكرمات.

حق الميراث:

الميراث في الشريعة الإسلامية حق للمرأة. وفرض ورد في القرآن

١ ـ سورة آل عمران / ٢٠٠.

٢ ـ نساء حول الرسول ٤٤٣ ـ ٤٤٤.

الكريم والسنة النبوية الشريفة بقوله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون مما قلَّ منه أو كثر، نصيباً مفروضاً﴾ النساء /٧.

في حين أن هذا الحق كان مهضوماً عند العرب قبل الإسلام. وكم كانت تعاني المرأة من جراء هذا الحق. وما زالت للأسف تعاني عند كثير ممن يعرفون الحق ويحيدون عنه لغاية في نفوسهم، ولإشباع غريزتهم في حب التملك من أموال لاحق لهم بها. تحت أقوال اصطنعوها ليبرروا جريمتهم في أكل أموال أقرب الناس إليهم من أخوات أو أمهات أو زوجات.

تلك الفئة الضالة من الناس الذين يفسرون الآيات القرآنية على هواهم وبما يروق لهم من أحكام مدعين تارة أن المرأة ليست بحاجة لأموال أبيها وهي مكفولة شرعاً برعاية زوجها، وأن زوجها ليس له الحق بالميراث، وإخوتها أحق بمال أبيهم من زوجها الغريب. هذه الأفكار وما شاكلها أفكار جاهلية لا تمت إلى الدين بصلة لا من قريب ولا من بعيد.

فالمرأة كائن خلق كالرجل لا فرق بينهما، ولكل منهما طباعة ورغباته وميوله. والإسلام لا ينكر هذا الحق لأي منهما، من هنا كان حق الميراث للأنثى كما هو للذكر وكما أورده الشارع، لا من أجل حاجة أو غنى أو إرضاء ولي أو زوج.

وبما أن الإسلام كفل مال المرأة بحيث لا يجوز لأحد أن يتصرف بمالها إلا بإرادتها، فمن حقها التملك والتجارة والبيع والشراء... إلخ. أما الذين يعتقدون أن قسمة المواريث بالآية الكريمة عند قوله تعالى

في سورة النساء: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾ النساء ١١/٤، ويتوهمون ذلك إجحافاً بحقها. هو غبن للمرأة وأكل لنصيبها من الرجل. فلا بد أن ذلك هو جهل في الفقه الإسلامي ومعرفة أحكامه.

إلا إننا نجد أن حظها قد زاد إذا عرفنا أن المرأة مكفولة بالرجل في معظم أدوار حياتها . وأنه يجب عليه شرعاً أن ينفق عليها. وأن يساوي بينها وبين الذكر في العطية لقول رسول الله (ص): (ساووا بين أولادكم في العطيّة، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء)[1] فأين حجر الإسلام على المرأة؟ وأين التضييق عليها؟[2]

شرف الجهاد

لقد كرّم الإسلام المرأة عندما منحها شرف المشاركة في الجهاد. بعد أن كانت تعاني من ويلات الغزو والسبي، والانتقال من الحرية إلى العبودية والاستعباد.

كما أنها أثبتت قدراً من الجرأة والجسارة في مطاحنة الرجال على الصعيدين المعنوي والتعبوي. فحملت السلاح وقاتلت قتالاً شديداً. فهذا الحافظ ابن كثير يتحدث عن قتال المسلمين في معركة اليرموك فيقول: "قاتلوا قتالاً شديدا حتى قاتلت النساء من ورائهم أشد القتال". ويقول في موضع آخر: "وقد قاتل نساء المسلمين في هذا اليوم، وقتلن خلقاً كثيراً من الروم، وكن يضربن من هزم من المسلمين حتى يرجع

١ ـ رواه البيهقي والطبراني وحسنه الحافظ بسنده.

٢ ـ تاريخ الإسلام ص ١٨٠.

إلى القتال."

ولم يكن دور المرأة يقتصر على القتال فحسب. بل كانت النساء المؤمنات يناولن السلاح، ويشددن من عزائم الرجال، ويضمدّن الجرحى، ويناولن الماء للمقاتلين، ويمددن الطعام. لكنها لم تكن تتوانى عن النزول إلى ساح المعركة عندما يلزم الأمر. فهاهي أسماء بنت يزيد (ر) كما يقول ابن حجر عنها: "أنها شهدت اليرموك، وقتلت يومئذ تسعة من الروم بعمود فسطاطها"(1).

وهاهي صفية بنت عبد المطلب تقول: "أنا أول امرأة قتلت رجلاً." عندما قتلت اليهودي الذي جاء متسللاً إلى حصن نساء المسلمين في غزوة الخندق متهجماً على أعراضها، فحملت عموداً غليظاً، وتحينت الفرصة فقتلته. وعادت إلى الحصن والفرحة في عينيها. إذ استطاعت أن تحفظ عورات المسلمات من الفضيحة.

لقد شهدت المرأة المسلمة الغزوات والمعارك مع أبنائها وزوجها. تنزل إلى ساحة القتال، وتقاتل الكفار، وتبلي بهم بلاء حسناً وليس هنا كمن هي أشجع من أم عمارة التي قال فيها رسول الله يوم أحد: "ما التفت يميناً ولا شمالاً إلا و أنا أراها تقاتل دوني." والتي دعا لها رسول الله (ص) ولأبنائها فقال: "اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة". وظلت هذه الفدائية المسلمة تشارك في كل الغزوات. فشهدت مع الرسول الأعظم (ص) بيعة الرضوان وبيعة المعاهدة ويوم حنين ومعركة اليمامة ضد المرتدين عن الإسلام . وكان لها الدور البارز، والمثال المحتذى للمرأة المسلمة في الدفاع عن دينها ومعتقدها.

---

١ ـ نساء حول الرسول – ٤٩٣.

لم تكن المرأة المسلمة المؤمنة تهاب الموت أو تتردد في المشاركة بالجهاد. بل كانت تسعى إليه كأم حرام بنت ملحان شهيدة البحر. تدعو رسول الله(ص) ليدعوها للمشاركة في حملة البحر. فقد روى عمير أن أم حرام سمعت رسول الله (ص) يقول:" أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أجيبوا " قالت أم حرام تسأل رسول الله (ص): يا رسول الله أنا منهم؟ قال(ص): أنت فيهم.

ورافقت أم حرام الحملة واستشهدت ودفنت في قبرص . ويعرف قبرها بالمرأة الطاهرة[1].

الحب الإنساني في الإسلام:

كان العرب ينشدون شعرهم قبل الإسلام معتمدين في وصفهم على الناقة، ثم المرأة. يقولون فيها ما يعتلج في صدورهم من حاجة غريزية لعشق عذري. يصل أحياناً إلى درجة الهبوط.

هذا الحب الذي كان يعبر عن الأنا، كان وليد حاجة. فإذا ما تحققت له، عاد الرجل إلى طبيعته القاسية. فهذا الحب لم يكن يرى فيه سعادة الآخرين. وإنما كان حباً يرى فيه ذاته، ولم يكن هذا الكلام ينطبق بشكل مطاق على كافة الناس، وإنما كان موجوداً.

وعندما جاء النبي متمماً لمكارم الأخلاق، قال أحاديث عدة موصياً بالمرأة:"حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة "[2].

---

١ ـ نساء حول الرسول.

٢ ـ رواه النسائي وأحمد.

أراد النبي(ص) أن يعلم الناس أسمى صورة إنسانية لعلاقة الرجل بالمرأة. وليرفع المعنى الأخلاقي لكلمة الحب إلى السمو الإنساني لا إلى الوجه اللاأخلاقي الذي كان يمارسه الناس في أشعارهم وسلوكهم. هذه العلاقة بين الرجل والمرأة القائمة على الحب بالفطرة، لابد لها من رعاية لتستقيم حتى لا تسقط في مستنقع الندم.

ورسول الله(ص) كان أسوة وقدوة للمسلمين. فلم يعرف قط أن استهان بامرأة. بل كان قدوة في دماثته، وعفته، وحسن المعاملة في علاقاته مع زوجاته، ومع نساء الصحابة. كما وجه أحاديث ووصايا كثيرة لم يوصِّ بها نبي من قبله فقال: " إنما النساء شقائق الرجال. ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم"[1].

وقال: "ألا استوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان عندكم. أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله. إن لكم عليهن حقاً ولهن عليكم حقاً."[2]

أي معنى تربوي وسلوكي أكثر من هذا. ولو تفحصنا في هذه الوصايا. لوجدنا أنها تضمنت أفعالاً مشروطة بإرادة الله وشريعته. مبيناً العلاقة المتبادلة بأن لكل منهما حقاً على الآخر. فلو اطمأن كل منهما في علاقته إلى أمان الله، واستحل الآخر بكلمة الله، وعمل على تنفيذ تعاليم الله وما أوصى به الرسول الأعظم (ص) لوجدا أن السعادة تظللهما، وأصبح بيتهما عشاً للحب السامي إنسانيا وروحياً. لكن هذا الأمر لا يروق للآخرين. فهم يريدون الحب. حباً شهوانياً

---

١ ـ رواه أحمد.

٢ ـ رواه ابن ماجه والترمذي.

ساقطاً يشبع غرائزهم وأنانيتهم. يضللون المرأة بعبارات مزخرفة براقة تظهر مفاتن المرأة وغرائزها لتحرفها عن الطريق السليم.

فقصروا ثيابها حتى أصبحت شبه عارية. ونفثوا سمومهم في شعورها وأحاسيسها، ولونوا وجهها بكل أنواع الطلاء. وجعلوا للحب عيداً في الرابع عشر من شباط سموه بأسماء شياطينهم. وعادوا للجاهلية وإلى عهود الوثنية. فلا فرق بين آلهة الحب وأعيادها في الماضي وبين أعياد الحب في هذا الزمان.

فحذار... حذار، أيتها المرأة، ولو عدت إلى من هن أكبر منك عمراً وخبرة، لوجدت أن ما يدور حولك من هؤلاء ما هو إلا شباك. فلا يغرنك مضلّ، ولا تجذبك أضواء، ولا تقيدك خيوط العنكبوت، لتجرك إلى مستنقع مرسوم بقلب أحمر لتكوني فيه الضحيّة. فلم يحرّم الله شيئاً إلا حلل خيراً منه.

فالحب الإنساني مشروع بالفطرة، وهو الذي يفجّر في قلب المرأة نبعاً دافقاً بالحنان والعطف والرقة والطاعة للخالق. صانه الإسلام في إطار المرجعية الإسلامية، وحلله بين الرجل والمرأة بعقد شرعي مقدس على اسم الله وسنة نبيّه (ص).

حرية المرأة:

لقد تحملت المرأة في الإسلام مسؤوليات جسام، نتيجة لإيمانها بالرسالة والعقيدة الإسلامية. وتعرضت لكل أنواع الألم والتعذيب، والقهر والهجرة عن الأهل والولد. حتى أن بعضهن قد استشهدن من أجل الدعوة والعقيدة الراسخة. كأم عمار بن ياسر. ومنهن من هاجر إلى الحبشة كأسماء بنت عميس مع زوجها جعفر بن أبي طالب.

لقد مارست النساء صوراً متعددة من النضال العقائدي والسياسي. فمنهن من بايعن رسول الله (ص) دون موافقة أهلهن. حيث قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر الله لهن إن الله غفور رحيم﴾.

لقد أسلمت المرأة قبل زوجها، بل عارضته في عقيدة الكفر. فها هي أم سليم بنت ملحان والدة أنس بن مالك (ر) قد أسلمت قبل زوجها. وعندما وصفها بالصابئة قالت: بل المؤمنة. وبقيت راسخة الإيمان حتى خرج مهاجراً من الدار إلى بلاد الشام دون عودة، تاركاً إياها وولدها. الذي بدأت تلقنه قول لا اله إلا الله ومحمداً رسول الله.

لقد مارست المرأة المسلمة الحرية قولاً وعملا بما لا يتعارض مع الدستور الإسلامي الذي أنزله الله تعالى على عباده. ولو نظرنا إلى هند بنت عتبة أم معاوية (آكلة الكبود) كبد حمزة بن عبد المطلب عم الرسول(ص) عندما جاءت تبايع الرسول(ص) للدخول في الإسلام فقالت: (يا رسول الله، الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه - لتنفعني رحمك يا محمد: إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة برسوله. ثم كشفت عن نقابها وقالت: أنا هند بنت عتبة). فقال رسول الله (ص) بتسامح كبير"مرحبا" بك"[1].

"كما كانت المرأة في عهد الخلفاء الراشدين تتمتع بقسط وافر من الحرية. فكن يختلطن بالجمهور، ويسمعن خطب الخلفاء،

---

١ - نساء حول الرسول٤٣٢.

ويحضرن المحاضرات والدروس التي كان يلقيها الإمام علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس وغيرهما"[1].

ومع هذا فقد أعطى الإسلام الحرية للمرأة. لكنها الحرية المشروطة بالأدب والحشمة، والتي تتجنب فيها المرأة مواطن الشبهة والعصيان في معروف. وهو شرط شرطه الله تعالى في القرآن الكريم على النساء. إذ أخذ عليهن عهداً بالابتعاد عن الشك. وأكده رسول الله(ص) بقوله (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). وهذا يعني أن يتجنب المسلم والمسلمة الإثم باطنه وظاهره، في القول والعمل، في المأكل والمشرب والملبس، وإتباع ما أمر به الله تعالى، واجتناب ما نهى عنه وإذا كان الإسلام قد أعطى الحرية للمرأة فلا يعني ذلك أن تتشبه المرأة بالرجل. فمن الفطرة التي شرعها الله لعباده، أن تحافظ الأنثى على أنوثتها التي خلقها الله عليها. وتشبه النساء بالرجال، والرجال بالنساء مخالف للفطرة، وفتح لأبواب الفساد. حيث قال رسول الله (ص): لعن رسول الله (ص) المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء" البخاري.

فلا يجوز للمرأة أن تلبس ما يلبسه الرجل، بل يجب أن تخالفه في الهيئة والتفصيل وهذا ما بينه رسول الله (ص) بقوله: (لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل).

كما أن الحرية لا تعني أن للمرأة الحق في الخلوة مع رجل أجنبي عنها، حتى ولو كانت على درجة عالية من الثقة بالنفس. فالشريعة الإسلامية حرّمت ذلك، لقول رسول الله (ص): (لا يخلون رجل بامرأة

---

١ ـ تاريخ الإسلام ج١ ـ ص ٥٤٦.

إلا كان ثالثهما الشيطان) الترمذي.

فالخلوة بأجنبية لا تجوز في مكان خاص أو سيارة. لأن ذلك يترتب عليه الوقوع في الإثم والفاحشة. ولا مانع من ذلك في الأمكنة العامة.

وليس من الحرية مما نراه الآن من تنوع في العطور والألوان قد فشا بين النساء لقوله (ص): "أيما امرأة استعطرت ثم مرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية"[1].

حيث فرضت الشريعة على كل من تطيبت ولو أنها خارجة إلى المسجد، أن تغتسل كغسل الجنابة. وحديث رسول الله (ص) يقول: "أيما امرأة تطيبت، ثم خرجت إلى المسجد ليوجد ريحها لم يقبل منها صلاة حتى تغتسل اغتسالها من الجنابة."[2]

والمحرمات هي حدود الله. لقوله تعالى في سورة البقرة: (تلك حدود الله فلا تقربوها) آية١٨٧.

فالحرية لا تعني أن تتجاوز الحدود التي سمح الله بها لك. والله أعلم بعباده. وهو العادل العفو الرحيم. حيث قال في سورة الأنعام آية١١٥: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾.

هذه المحرمات ابتلاء من الله تعالى لعباده. لينظر كيف يتصرفون مع هذه الرغائب والشهوات. وهذه من أسباب الفوز بالجنة. فمن صبر عليها فاز، ومن عصى فستكون الوطأة عليه شديدة والطاعة عسيرة. وستكون جهنم هي المأوى.

---

١ ـ الإمام أحمد، صحيح الجامع ١٠٥.

٢ ـ الإمام أحمد – المصدر السابق.

الحرية السياسية:

لقد مارست المرأة الحرية السياسية قولاً وعملاً. فكانت السيدة عائشة(ر) مثلاً عالياً في الفقه ورواية الحديث والتاريخ والنسب وعلم النجوم وقادت جند المسلمين في يوم الجمل كما كانت عكرشة بنت الأطرش التي اشتركت في حربي بين علي ومعاوية تحرض الجند على معاوية.

لقد اصطحبت المرأة الجيش ورافقته في الحروب فخصص لها المكان المناسب في المدن والمعسكرات.

أما أسماء بنت أبي بكر فكانت مثال الشهامة للمرأة العربية عندما حاصر الحجاج الكعبة ورماها بالمنجنيق طالباً رأس ابن الزبير. ولما جاء عبد الله إلى أمه أسماء وأيقن أنه مقتول لا محالة، وقال لها: لم يبق معي إلا اليسير ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة قالت: أنت أعلم بنفسك، إن كنت تعلم أنك على حق واليه تدعو فامض له فقد قتل عليه أصحابك ولا تمكن من رقبتك غلمان بني أمية يلعبون بها. وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت نفسك ومن قاتل معك. وإن قلت كنت على حق فلما وهن أصحابك ضعفت فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين كم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن. فقال يا أماه: أخاف إن قتلني أهل الشام أن يمثلوا بي ويصلبوني. فقالت يا بني إن الشاة لا تتألم بالسلخ بعد ذبحها فامض على بصيرتك واستعن بالله، فقبل رأسها وقال: هذا رأيي فطفقت أمه تدعو له وتشجعه.[1]

---

١ ـ ابن الأثير ج٤ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨.

"ومن شهيرات نساء العصر الأموي أم البنين زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك . فقد اشتهرت بالفصاحة وقوة الحجة وبعد النظر وكان لها مكانة ملحوظة في قصر الخليفة الوليد الذي كان يستشيرها في مهام أمور الدولة"[1].

ولم تكن المشاركة السياسية هماً عاماً لكافة نساء المسلمين، وإنما اشتهرت بذلك نساء القصور لكونهن يعشن هذا الهم مع رجالهن، وبما يتوافق مع مصالحهن. فلم ترتضِ المرأة أن تكون بعيدة عن التدخل في الأمور السياسية والسلطان. ولم تتوان على أن تحيك المؤامرات للوصول إلى مبتغاها. وها هي عاتكة زوجة يزيد بن معاوية عندما بايع الأمويون مروان بن الحكم خليفة على أن يعهد بالخلافة إلى ابنها خالد بن يزيد ثم من بعده إلى سعيد بن العاص. إلا أن مروان نقض بعهده، وعهد إلى ابنيه عبد الملك ثم عبد العزيز، وأخذ يحقّر من شأن خالد بن يزيد ويشتمه فخجل خالد ودخل على أمه عاتكة التي تزوجت مروان بعد يزيد. وأخبرها بما حدث. فقالت له:" لا يعرفن ذلك منك، واسكت فأنا أكفيكه"ولما نام مروان، وضعت على وجهه وسادة لم ترفعها حتى مات. ولما علم بذلك ابنه عبد الملك أراد أن يقتلها، فأشير عليه بالعدول عن رأيه حتى لا يتحدث الناس عن امرأة قتلت أباه فيلحق به العار."[2]

وفي العصر العباسي كما ورد في كتاب تاريخ الإسلام-ج٢ فقد

---

١ ـ تاريخ الإسلام ج١ ـ ٥٤٧.

٢ ـ تاريخ الإسلام – ص ٢٩١ ج١.

بلغت المرأة شأناً عظيماً من المكانة فتدخلن في شؤون الدولة حيث كن يردن حاجات الناس. مما دفع بالخليفة الهادي أمه الخيزران إلى عدم التدخل في أمور دولته. أما زبيدة زوج الرشيد وأم الأمين فقد تزعمت الحزب العربي. وتدخلت في سياسة الدولة وتسيير شؤونها .وكان لها من النفوذ ما لم يكن لغيرها ، إذ أنها أمرت بجر مياه الشرب إلى مكة عام (١٨٦) هجرية عندما حجت. ورأت ما يعانيه أهل مكة. ودعت أكفأ المهندسين وخازن أموالها وقالت له: "اعمل ولو كلفتك ضربة الفأس ديناراً". حتى وصل الماء من الحل إلى الحرم. كما تدخلت في شؤون الملك عندما اتفقت مع الفضل بن الربيع لتولية الأمين وإبعاد المأمون.

ومع عدم اختلاط النساء بالرجال الغرباء فقد كانت تشارك مجالس الوعظ والإرشاد وتشارك الرجال في إقامة الشعائر وفي ميادين العلم والثقافة. كما كانت تناظر الرجال في الأدب والشعر وفي الموسيقا والغناء. وترافقهم إلى الحروب. فها هي (شهدة الكاتبة) التي كانت تحاضر في بغداد بالتاريخ والأدب. و(تقية بنت غيث) الشاعرة المحدثة في أيام صلاح الدين الأيوبي. و(رابعة العدوية) التي اشتهرت بالتصوف. والتي توفت عام ١٣٥ هجري ودفنت في القدس.

كما قادت المرأة الجند . وتعرضت للسبي . فعندما صاحت امرأة عربية وقعت في أسيرة في يد الروم ((و ا معتصماه)) لبّى الخليفة نداءها وانتصر على الروم في معركة عمورية إلا أن العرب أولعوا باقتناء الإماء مما كان لهن الأثر في السيطرة على شؤون الدولة إذ قال علي بن الحسن(ر) : ليس من خلفاء بني العباس من أبناء الحرائر إلا

ثلاثة: السفاح و المنصور والأمين والباقون كلهم أبناء الجواري فكانت أم المأمون فارسية وأم المعتصم تركية وأم المستكفي والمطيع صقلبية وأم المتوكل خوارزمية وأم المقتدر رومية.

ولم يكن من طبقات الشعب من النساء من لها علاقة بالأمور السياسية سوى نساء القصور وكان يعود تعلق الأمراء والخلفاء بالإماء لجمالهن وعذوبة اللفظ وجمال الصوت .ولم تكن تلك النساء تأبه لثقافة وعلم الأمير، بل على العكس، كن يرونه ضعيفاً غير ملم في شؤون السلطة والحكم مما أدى إلى تعيين ((السيدة)) أم الخليفة المقتدر قهرمانتها ((تومال)) صاحبة للمظالم مما أدى إلى استهتار عامة الشعب بالخلافة .وفي الدولة الفاطمية كان للنساء شأن عظيم فاشتهرن بالثراء فعملن على بناء القصور والمساجد بزخرفة وأموال باهظة. كما تزوج الخليفة العزيز بزوجة رومية نصرانية حيث عينت أخويها بطريقين ملكيين أحدهما في القدس والآخر في الإسكندرية[1]. كما تمتعت السيدة ((صبح)) زوجة الحكم الثاني وأم المؤيد بنفوذ مطلق في الدولة الأموية في الأندلس " أما شجرة الدر زوجة الملك الصالح أيوب فقد تمتعت بنفوذ عظيم في الدولة الأيوبية حيث تقلدت سلطنة مصر ردحاً من الزمن وقد تقربت من أمراء الدولة ومنحتهم الإقطاعات، وخفضت الضرائب واستطاعت بمهارتها أن ترد الصليبيين على أعقابهم بعد أن حلت بهم الهزيمة في موقعة المنصورة/١٢٤٩ م/ "[2].

---

١ ـ صلة تاريخ الطبري /ج٢/ ١٤٤- ١٤٥.

٢ ـ تاريخ الإسلام /ج٤/٦٤٢.

أما في الأندلس فقد نقص صفاء الجنس العربي لكثرة زواج المسلمين من السبايا المسيحية. ومهما أطلنا السرد لتاريخ المرأة عبر العصور الإسلامية المتلاحقة لنجد قوافل من النساء تمتعن برجاحة العقل والحزم واشتهرن بالكرم والحلم وعرفن التسامح والذكاء والدهاء وكان لهن تأثير عظيم على الأمراء والخلفاء ولكن كل تلك النسوة لم يكنّ من عامة الشعب وإنما من طبقة كانت تسمح لها الظروف بأن يظهرن ويبدين مواهبهن في شؤون الدولة والسياسة .

الحجاب:

قبل أن نتحدث عن الحجاب. فلا بدّ من أن نتحدث عن ما هو مقدمة لتلك الظاهرة الربانية التي تغطي الوجود، دون أن تثير اهتمامك!

فلو نظرت إلى الأحجار الكريمة، لوجدتها محجبة عن العين، وتحتاج إلى بحث وتنقيب للحصول عليها. وحتى لو حصلت عليها فإنك تسارع إلى إخفائها في صناديق مظلمة لجمالها وقيمتها. ولو قدّر لك الحظ لتبحث عن حبات لؤلؤ، لوجدتها محجبة في صدفات في قاع البحر. ولو امتلكت سيفاً لوجدت له قراباً يحميه ويحجبه. أو قلماً ثمينا أو جميلاً، لوجدت له غطاء يحجب رأسه. أو نظارة أو تحفة فنيّة، فستعمل على وقايتها، أو حجبها لحين الاستعمال أو المشاهدة .ولو تأملت الثمار بأنواعها المتعددة لوجدتها مغطاة ومحجبة بقشور يحفظ حلو الطعم فيها.

ولو توسعنا أكثر قليلاً. إلى الكرة الأرضية، لوجدتها مغطاة بطبقة من الأوزون يحفظها من حرارة الشمس.وبالمقارن لو نظرت إلى

الأحجار العادية، لوجدتها منتشرة في كل مكان . ولو بحثت عن المعادن غير الثمينة، لرأيتها مختلطة بالصخور تراها بالعين المجردة.

من هذا وذاك نستنتج: أن كل شيء جميل، وذو قيمة ومثمر، قد أُلبس حجاباً بقدرة الله تعالى فإذا لم يحفظ فقد قيمته أو حمايته. فما رأيك بأنثى الإنسان، أم المستقبل، ومدبرة هذا العالم؟

هذه الأنثى التي ولدت العظام من الأنبياء والعلماء والرسل والقادة. أليس هي الأولى بالمحافظة عليها!؟

لقد جاء الإسلام متمماً لمكارم الأخلاق. وبعث الله نبيه آمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، المتمثل بهوى النفس وشهواتها. وحث على الحياء، والابتعاد عن مساويء الأخلاق. وجعل الحياء شعبة من شعب الإيمان ـ وخاصة النساء ـ إذ أن احتشام المرأة تبعدها عن مواطن الريبة والشك. فأمر الله تعالى المؤمنات بضرب الخمار لصونهن، وسترهن، وإبعادهن عن مواطن الظن والفتن فقال في كتابه الكريم: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن، ويحفظن فروجهن، ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها. وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين من زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الأربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء . ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن . وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾.[1]

لقد حددت الآية الكريمة المواطن التي تبيح للمرأة أن تبدي بها

---

١ ـ سورة النور ٣١.

زينتها. أو ما يسمح الشرع برؤيته من جسدها، كالوجه والكفين. وأمر بغض البصر للمرأة كما هو للرجل، وحفظ الفرج صوناً وكرامة. فإذا وجب ستر النحر والصدر كان الأولى ستر الوجه عن الأجانب وغير المحرمين. ومهما كان شكل المرأة وتناسقها الرباني جميلاً، إلا أن الوجه ـ سبحان الله في خلقه ـ هو موضع النظر إليها من كلا الجنسين . فمن العين حاسدة ومنها الزانية والنفس أمارة بالسوء.

ثم حذر النساء اللواتي يغرين الرجال بوسائل متعددة تجلب النظر إليهن من خلاخل أو طيب أو ألبسة مغرية تظهر مفاتن الجسد أو تبرز أعضاءه. آمراً الرجال والنساء بالتوبة إلى الله جميعاً.

لأن المرأة بفطرتها مولعة بأن تكون مميزة في الجمال حتى عن قريناتها، وتحب أن تظهر ذلك للرجال. ومع أن الإسلام يقرّ هذه الرغبة، إلا أنه ينظمها ويحدد اتجاهها لطرف واحد وهو الزوج . وهو ما أمر الله به في الآية الكريمة السابقة (النور ٣١).

فالحجاب سترة للمرأة وليس ساتراً لها عن أهلها والمحّرمين عليها. وانه إذ يخفي بعضاً من مفاتنها، كالشعر واللون والعينان والفم والنحر والصدر فانه يخفي معها إسماعها الكلمات المعسولة التي تدغدغ شعورها ، وبالتالي يبعد بها عن الأذى. أما الجلباب فهو العباءة أو الكساء الذي يلبس فوق الحجاب ليغطي كامل الجسد دون تفصيل لأي من أعضاء جسدها منعاً للفتنة. وصوناً لها من أذى المشركين أو ضعاف النفوس من المراهقين وغيرهم . قال تعالى في سورة الأحزاب ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المسلمين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله

غفوراً رحيماً﴾ الآية ٥٩ سورة الأحزاب.

فإذا خرجت المرأة، وجب عليها لبس الجلباب حتى ولو كان خروجها إلى المسجد. فكيف إذا خرجت للتجول في الأسواق، واختلطت بالرجال. وعن السيدة عائشة أم المؤمنين قالت: (لو رأى رسول الله(ص) من النساء ما رأينا، لمنعهن من المساجد كما منعت بنو إسرائيل نساءها).

هذه نساء المسلمين رضوان الله عليهم في زمن الرسول(ص) خير الأزمان. تتقدهن السيدة عائشة، فكيف بالنساء الآن بعد خمسة عشر قرنا. وقد اتسع الفساد وانتشر، ورفع أنصاره شعار إفساد كل ما هو فاسد. حتى لا يبقى مكاناً تجد فيه خيراً. فلم تعد تعرف الرجال من النساء. وقد تضطر أحياناً إلى التدقيق لتميز بينهما. فقلّ الحياء وضعف الدين، وكثر تقليد الكفار والمشركين – والعياذ بالله – فتفنن المشركون في أدوات التجميل والزينة، وتنوع العطور الجذابة. وانتشرت الفضائيات في كل بيت. ولم تعد تعرف الفتاة العذراء من المتزوجة. وأصبحت المرأة تلون وجهها بكل ألوان الطيف لتحوله إلى لوحة تغير فيها ما خلق الله. كل ذلك من دواعي الفساد. وكأن المرأة تعترض على ما خلق الله. وهو القائل في كتابه الكريم: ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾.

وهناك من العلماء من يحتجون على عدم وجوب الحجاب. مما رواه أبو داوود عن السيدة عائشة قولها عندما دخلت عليها أسماء بنت أبي بكر على النبي(ص) وقوله لها: (إن المرأة إذا بلغت سن المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيّه). (حديث

صحيح) ومهما يكن من أمر فالحجاب مكرمة من مكارم الأخلاق تصون المرأة من الفتنة خاصة أن الوجه ملتقى الجمال ومركز الفتنة ويرفع بالمرأة إلى درجات الحسن والفضيلة. أما الابتعاد عنه والتقلد بثياب الغرب السافرة تهبط بها إلى مهاوي الرذيلة والى مستوى المتعة والهاوية حيث لا ينفع الندم.

أما الجلباب أو الحجاب فلم يكونا يوماً مانعاً أو ساتراً تعيق المرأة عن التفكير، أو القيام بمهامها داخل البيت أو خارجه. بل على العكس تماماً، فالمرأة تؤدي عملها دون إضاعة أي وقت في النظر إلى تصفيف شعرها، أو تجديد ألوان الطيف على وجهها، أو شفتيها، أو السرحان الطويل في المرآة.

فاللباس القائم على الحشمة مع العمل بآدابه، يكسب المرأة الاحترام والتقدير. علماً بأن الحجاب لم يكن مانعاً لرغبة الرجل بامرأته لقوله تعالى: ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

فالمرأة والرجل شريكان متكافلان متضامنان فكرياً وغريزياً. وضعها الله فيهما ليستمر الكون، وليبنى المجتمع.

ولننظر إلى بعض الأمثلة في الغرب إذ كتبت "ماري وودا لن" في كتابها (فن العلاقات الجنسية) على الرغم من تربيتها الغربية فتقول: "إن الفتيات يتحملن تبعة معنوية عظيمة فيما يتعلق بسيرة الشباب، فيكفي أن تهمل ثوبها أو تغالي في تسريح شعرها فتكشف ما كان يجب أن تخفيه عن الأعين حتى توجه أنظار الشبان الذي ينظرون إليها نظرة معينة".

ولما زار غليوم إمبراطور ألمانيا تركيا، أحب أعضاء جمعية الاتحاد والترقي أن يظهروا له تمدنهم، فاخرجوا بعض بنات المدارس لاستقباله وهن متبرجات. قدمن له باقات الأزهار. فاستغرب لما رآه وقال للمسؤولين: "إني كنت آمل أن أشاهد في تركيا الحشمة والحجاب بحكم دينكم الإسلامي، وإذا بي أشاهد التبرج الذي نشكو منه في أوروبا، ويقودنا إلى ضياع الأسرة وخراب الأوطان وتشريد الأطفال."[1]

ولو بقيت النظرة إلى المرأة كجسد أنثوي، ومهيج غريزي، ولم يحصنها الإسلام. لبقيت متاعاً جميلاً كالسيارة مثلاً. أو كأي قطعة أو تحفة من أثاث المنزل الجميل.

لكن الإسلام صان هذا المخلوق الجميل مبعداً إياه عن التهلكة. فوضع الضوابط وألزم الرجل والمرأة بالتقيد بها قولاً وعملاً.

أما تطبيق هذه الضوابط فتعود مسؤوليتها على الأهل أولاً. في تنشئة بناتهم على ذلك منذ الصغر. وتربية أولادهم على غض البصر والابتعاد عن المحرمات. ولنا في أمهاتنا نساء رسول الله (ص) قدوة حسنة. فلم نسمع من علمائنا أو قرأنا عن نساء الصحابة أي احتجاج على الحجاب، عندما نزلت الآية الكريمة التي تأمر بلبس الحجاب. بل على العكس تماماً استحسنّ ذلك وأسدلن جلابيبهن دون تذمر.

أما النسوة اللواتي يتسترن بأعمالهن السيئة بالحجاب، فتلك نسوة - أصلحهن الله - لسن المعيار الذي يقاس الأمر عليه. ونعود لنقول أن الحجاب أو اللباس إذا لم يكن محصناً بالأخلاق الفاضلة، وبما شرع الله، فلا فائدة منه.

---

١ - تحفة العروس ص - ٢٥٧.

أما من يعتقد أن الحجاب والجلباب ضد تحرر المرأة. فتلك فئة لا يريدون تحصين المرأة وإنما يريدون ذاتهم محتجبين خلف حجاب المرأة.

والحمد لله لقد أصبحت المرأة المسلمة المثقفة تعي ذلك .وما نراه اليوم من صحوة ثقافية واعية طوعيّة يبشر بالخير.

العمل

إن مفهوم العمل في الإسلام واضح . دعا إليه وحث عليه في آيات كثيرة . والإسلام دين العمل: ﴿وقُلِ اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾. فالعمل ليس حصراً بالرجل دون المرأة. ولم يمنع الإسلام المرأة من العمل في التجارة أو الزراعة أو في مجالات الحياة الأخرى. وخير مثال على ذلك السيدة خديجة أم المؤمنين. فقد كانت تعمل بالتجارة قبل الإسلام وبعد إسلامها. فكانت تنتقل من منطقة إلى أخرى، لتشرف على عمالها ، وتخدم الرجال في السفر. وكان رسول الله(ص) أحد العاملين عندها. عندما ذهب بتجارتها إلى بصرى في بلاد الشام مع خادمها ميسرة.

وما زالت المرأة تعمل منذ قدم الزمان حتى يومنا هذا في أعمال شاقة يداً بيد مع الرجال في الحقول والمصانع والمدارس والمشافي. إضافة إلى عملها المنزلي. ولو توقف عمل المرأة ، لتوقف المجتمع، وأصابه الضرر.

لقد كرّم الإسلام المرأة في حرية التصرف بمالها. إذ جعله خاصاً بها لا يجوز لأحد الاقتراب منه أو التصرف به إلا بإرادتها .وعلى الأهل والزوج والولد رعايتها وكسوتها وإطعامها دون التدخل في مالها. مهما كثر أو قلّ. أو الضغط عليها بقطع وصلها. بل على العكس تماماً إذا

جعل صلة الرحم من أهم واجبات المسلم.

لقد أعز الإسلام المرأة في جميع مناحي الحياة، وأنشطتها. ورأى فيها حالة إنسانية تستحق أن تقف إلى جانب الرجل عند الملمات والمصائب. ومهما أصاب الرجل خارج بيته من هموم أو مصائب، فلا يهدئ باله إلاّ صدر أمه، أو زوجه يركن إليه. عندها يجد قوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

إلا أن التخلف الذي أصاب الأمة نتيجة الاستعمار والجهل كرّس عند بعض الناس عادات وتقاليد تحولت إلى نوع من التعصب القبلي، والذي يطلق عليه خطأ بالتعصب الديني لأنه من مفهوم قبلي لا من مفهوم ديني .جمح نشاط المرأة في أن تأخذ دورها بشكل فعّال.

لكن الله أراد للإسلام أن يشرق من جديد. وبدأت المرأة تخوض غمار العمل بخطى علميّة تضاهي الرجال وتفوقهم في كثير من الأحيان. وبدأت المرأة تنطلق بحرية وقناعة، لتتفاعل مع نساء الأمم الأخرى ومجتمعاتها بما يثري تجربتها الحديثة. في حين أن المرأة في تلك المجتمعات، رغم تقدمها، ورفعها لبيارق الحرية والديمقراطية والمساواة وحقوق الإنسان ما زالت تماني فيه المرأة ما تعانيه من اضطهاد لحقوقها وعدم مساواتها بالرجل في العمل الواحد، ولو تساوت فيه الخبرة والشهادة.

واقع المرأة في المجتمع العربي

واقع المرأة الاجتماعي

في المجال التنموي

الإحباط الاجتماعي

الاضطهاد الجسد

العنف الأسري

الظلام العقائدي

واقع المرأة الاجتماعي:

عندما نريد أن نتحدث عن واقع المرأة، فلابدّ من دراسة الوسط والزمان والثقافة والعادات والتقاليد والسياسة والدين والفلسفة الاجتماعية التي تحيط بهذا الكائن الذي كرّمه الله تعالى، وأعطاه صفة من بعض صفاته وهي الرحمة.

فالإنسانية تجلت فيها، فهي الحب والحنان والعطف والرقة والجمال. هي القوة والجَلَد والمعين والسند. وهي من قال فيها رسول الله(ص): (ما أكرمهن إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)، وهي من كانت أحق الناس بالصحبة لقول النبي(ص): (من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله قال: أمك. ثم من؟ قال: أمك. ثم من؟. قال: أمك. ثم من؟ قال: أبوك).

لكن الإنسان كان جهولاً بحق نفسه. فالإسلام أعز المرأة، وكرّمها. لكن الظروف السياسية والاجتماعية، التي جعلت الوطن العربي متخلفاً، بعد أن ضعفت دولته، وأصبح مجزءاً. وسادت فيها أفكارٌ ومفاهيم غريبة سيطرت على عقلية الرجل، وجعلته يتحكم بالمرأة. فأحيلت إلى كائن هامشي عاجز أن تلحق بالرجل وخدمته. حتى حرّمَ عليها الخروج من بيت والدها إلا إلى بيت زوجها، أو إلى القبر.

هذه السيطرة الدكتاتورية الاضطهادية للرجل. ساهمت إلى حد

كبير في تخلف المجتمع. فالتخلف فرض الاضطهاد المادي والمعنوي.

ولم يكن الاضطهاد مقصوراً على المرأة. وإنما تعداه إلى كل ضعيف في المجتمع. كالعامل والفلاح والتلميذ والرجل والمرأة....الخ.

فالرجل يضطهد امرأته. والمرأة تضطهد زوجة ابنها. والشيخ يضطهد تلميذه. ورب العمل يستغل عامله، والإقطاعي يستغل الفلاح والفلاح يستغل أجيره، والأخ الأكبر يضطهد أخاه الصغير. والقوي بالضعيف وهكذا...

هرم سلوكي اضطهادي لا إنساني. نما وترعرع نتيجة التخلف والجهل. والمرأة إحدى ضحاياه.

فهل هناك عبودية أقسى استغلالاً من ضياع حرية الإنسان؟

رغم هذا الواقع المرير، ظهرت أصوات تنادي بالتحرر والمساواة في مطلع القرن العشرين. في مصر وسورية ولبنان. لكنها أحدثت على الأغلب تغييراً في الشكل وليس في المضمون. مما كان الرجل يضطر إلى التنازل عن بعض الأنظمة من عبوديته للمرأة، لتسانده في الحقل أو خدمة المنزل.

والطبع لم يكن واقع المرأة في الوطن العربي متماثلاً في كل فئاته، وطبقاته. أو في كل أقطاره. وإنما كان يختلف من قطر إلى آخر، ومن فئة إلى فئة. ومن طبقة إلى طبقة، ومن دين إلى دين آخر.

وعلى الرغم من أن المرأة ما زالت تحلم أن تكون مساوية للرجل، وتعمل على إثبات ذاتها بجد ونشاط، من خلال الجمعيات والاتحادات النسائية أو اللجان المهنيّة، واحتلالها لمكانة مرموقة. إلا أن النسبة العظمى من النساء ما زلن مرتبطات ارتباطاً جذرياً بأنظمة العبودية،

واللاتي لا يرغبن أن يتحررن منها لأسباب ورثتها عن أمهاتهن.

لذا فان المرأة تحتاج إلى ثورة ثقافية تواكب فيها متطلبات العصر لتزيل عن كاهلها عبء الاستغلال والاضطهاد. لأن المرأة المتحررة هي الأساس لبناء مجتمع معمّر، متحضر.

هذه الثورة التي يجب أن تنطلق بقيادة المرأة وبمساندة الرجال الذين يؤمنون بعدالة قضيتها. لا أن يكون الرجل في جميع الحالات نداً للمرأة. أي النقيض المطلق التي يجب عليها أن تحاربه.

فالثورة المنطلقة من المبادىء الاجتماعية أو الدينية المقْنِعَة للرجل بوجوب إعطاء المرأة حقوقها. ومساواتها بالرجل. والعمل الدؤوب على إثبات الذات بالعلم والكفاءة والجوهر، لا بالشكل والشعارات، وترديد العبارات المتعصبة بالمساواة مع الرجل، والتي أصبحت في كثير من الحالات موضع للتندر بها من قبل الرجال. أو ترك نوع من الحساسيّة عند البعض الآخر. والتي تعطي طابعاً سلبياً يعيق العمل الجاد بخطوات إلى الوراء.

وللإطلاع على واقع المرأة بموضوعيّة في المجتمع. لا بدّ من دراسة الوسط التي تعيش فيه دراسة موضوعية صادقة.

فالمرأة تعاني في الأوساط الفقيرة المتخلفة. موروثاً تقليدياً قائما على استعباد المرأة لخدمة الرجل. وجعله تاجاً على رأسها. حتى ولو كان عاطلاً عن العمل. فقط لمجرد الذكورة. أما المرأة فهي ربة البيت، وفتاة الأحلام، والراعية، وفلاحة الحقل. وبنفس الوقت، هي العار والسترة، والعيب والعرض. فالرجل يحتل مركز القوة والسيطرة. والمرأة المهانة والضعف. "هذه المهانة تصل إلى مرحلة القهر عندما

تتحول إلى خادمة لنساء إخوتها عند وفاة زوجها أو طلاقها. ويزداد القهر قهراً عندما ترغم بالزواج من أحد أقاربها أصغر منها كثيراً، أو أكبر منها كثيراً، من أجل إرثها، مالاً أو أرضاً. أو عندما يتقدم منها شيخ متصاب ثري لمتعة جسدية."[1]

"والمرأة في هذا الواقع مذنبة في كل الحالات. فإن لم تنجب فهي مذنبة وإن أنجبت الإناث دون الذكور فهي مذنبة". ومذنبة إن لم تطع حماتها أو أخواته. ومذنبة إن كانت جميلة، ويا ويلها من نساء الحي كل منهن تخاف على زوجها. ومذنبة إن لم تكن جميلة، فالزوج وأهله سيبحثون له عن زوجة جميلة .ومذنبة[2] إن لم تتنازل عن ميراثها.

فالمرأة تعاني في هذا المجتمع من تفشي الأميّة. ومع الستينيات من القرن الماضي، بدأ الأهل يسمحون للفتاة بالتعلم لإنهاء المرحلة الابتدائيّة. ليتنصلوا من إثمها أمام الله تعالى. وإن تعلمت ونبغت متفوقة ووصلت إلى درجة عالية كالطب مثلاً، وهو أعلى درجات العلم في هذا الوسط. فالأهل هم الذين يفخرون بها، وليس لها حول ولا قوة.

أمام هذا الواقع العفن. فلا توجد مشكلة تخطر على بالك إلا وتجدها في هذا الخضم الرحب والقاعدة الفسيحة. فالطلاق، والهجر، وتعدد الزوجات، والسفر خارج القطر لسنوات، والإجهاض نتيجة الفقر أو المرض. كل ذلك وأكثر تتحمل مسؤولياته المرأة دون كلل أو ملل. فإذا اشتكت أو رفعت صوتها مطالبة بحقوقها الشرعيّة نصحت بالصبر والتحمل في أحسن الحالات. وإن بقيت على شكواها،

---

١ ـ واقع المرأة ـ مجلة المناضل ـ يوسف حبيب.

٢ ـ المصدر السابق.

فلا ملاذ لها إلا بيت أبيها.

إلا أن المرأة في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الجديد. قد تخلصت نوعاً ما في الدول المستقلة، وبانتشار وسائل التعليم والإعلام من عقدة الخوف. فتطور الوعي الأسري رغم الفقر الاجتماعي وأصبح ما يسمى بالتفاهم الأسري. فتقلصت الأميّة وانتشرت الجمعيات النسائيّة، وتحسن وضع المرأة في المدن أكثر من الأرياف والبوادي. ولا ننكر أن هذا التطور قد ساهم فيه الرجل بقدر ما. إن كان زوجاً أو كان في موقع صاحب قرار سياسي أو دستوري.

ولو انتقلنا إلى طبقة ثانية. فالمرأة والرجل يدركان المشكلة جيداً. لأنهما أصلاً ولدا من رحم الطبقة الفقيرة. ولكن ما أن تعلما، حتى بدأ الرجل يتطلع إلى المجتمع الأفضل والأكثر تطوراً. ليس حباً من أجل عيون المرأة، ولا إيماناً بالعدالة والمساواة والحرية. وإنما من أجل سمعته التي يتباهى بها في هذا الوسط. فخلايا السيطرة التي ورثها من طبقته السابقة ما زالت معشعشة بين حناياه. فالرجل الذي يعتبر نفسه مثقفاً وناضجاً فكرياً وعقائدياً، "نراه أكثر الناس حساسية عند الاقتراب من سلطته أو حقوقه على المرأة . فهو يخاف أن تفلت منه"[1]. ومع هذا نراه يسمح لها بالخروج والعمل وحضور المؤتمرات والندوات، ولكن بما يخدم ويدعم موقعه ومكانته الاجتماعية والثقافية ولا يؤثر على مصلحته الماليّة. أما المرأة فهي راغبة في الحرية، وراغبة في الانطلاق،أسوة بمثيلاتها في الغرب. ولكنها لا تجرؤ في كثير من الأحيان عن إبداء رغبتها حفاظاً على زواجها، أو كما تقول: لتبعد عن

---

١ ـ المصدر السابق.

المشاكل. فتفرط أحياناً في الأنوثة. وأحياناً تتمرد حتى توصف بالرجولة، وهكذا يلعب كل منهما لعبة القط والفأر.

فالمرأة في هذا الواقع الطبقي تعاني من القهر النفسي الداخلي .هذا القهر سرعان ما تعبر عنه عند أول هجوم تشنه على الرجل دون هوادة . وتتنكر على الرجل كل مساعية في مساعدتها . فمهما بلغت من المكانة أو المنصب، وفي كل المجالات، تبقى داخلياً خائفة على مستقبلها، غير قادرة على التفريط بمجتمعها الأسري .ولا أكن مغالياً إن قلت أن المرأة في هذه الطبقة، أكثر جبناً من مثيلتها في الطبقة الفقيرة. لأن الأخيرة لا يوجد عندها ما تخسره من سمعة اجتماعيّة.

أما إذا انتقلنا إلى طبقة ثالثة فلا توجد مشكلة بين الرجل والمرأة من ناحية مادية فالمرأة تعيش حياة مترفة هنيّة، لا يعكرها سوى البحث عن مقارنتها مع نسوة من طبقة مماثلة.

فالمرأة لا تعمل في المنزل أو المعمل أو الدائرة بل عملها محصور في البحث عن أمور تزيد أنوثتها جمالاً، فهي صورة بلا صوت، وَجسد بلا حرارة، تعطي الزوج السلطة الكاملة عليها لقاء أمور مادية تحظى بها .

"فحياتها العاطفية لا قيمة لها، والنظر يكون إلى الرصيد المادي من مال أو عقار أو لقب،أو سلطة، أو ما يقدم الرجل من أثاث فاخر، تتباهى به في المجتمع أو سيارة فاخرة تتنقل بها من حفلة إلى أخرى."[1]

و لكن هل الحقيقة كما نرى؟ أليس لهذه النساء من شعور عاطفي ؟ فإن توفر لها العنصر المادي فهي تعاني حتماً من القهر

---

١ ـ مجلة المناضل ـ يوسف حبيب ـ واقع المرأة.

المعنوي والنفسي، فهي كبقية النساء ترغب في أن يكون لها شخصية مميزة مماثلة كزوجها، و لكنها لا تجرؤ على ذلك مقابل ما سلف، وإن حاولت أن تتمرد تجد من يضغط عليها لتعيش بقية حياتها في هذه النعم التي أنعمها الله عليها، فتبقى أسيرة من يخاطبها على أنها امرأة تحتاج دائماً إلى ما يزيدها فتنة وأنوثة·هي خالية من أي دور تقدمه للمجتمع حتى من تربية أولادها·

بعد التحدث عن واقع المرأة الاجتماعي فلا بد من التطرق إلى بعض المظاهر الاضطهادية أو لنقل غير العادلة والمستغلة لقدرة المرأة:

أ ـ في المجال التنموي:

إذا كانت المقولات العصرية الاجتماعية، والتنموية تعترف بأنه لا حياة بدون المرأة، ودورها في مجال التنمية فلا يعني ذلك أن تستغل المرأة إنسانياً· هذا الاستغلال يتمثل في إبعادها عن مواقع العمل الابداعية· مما يؤدي بالتالي إلى إضعاف ثقتها بنفسها في حين يوجد المزيد من النساء المتفوقات والقادرات على القيام بأعمال مماثلة للرجل، والنقطة الثانية، إجحاف المرأة في الأجور فإذا كانت بعض القوانين تساوي المرأة في الأجر إلا أن إبعادها عن المواقع الهامة يبقي من أجرها متدنياً بما لا يتناسب مع مؤهلاتها·

والنقطة الثالثة: تجاهل تقويم جهدها فالمرأة تمثل قوة عمل. تشكل ثلثي عدد ساعات العمل· فإذا كان الرجل يعمل ثماني ساعات يومياً . فالمرأة تعمل ضعفها، ويتمثل ذلك في العمل، والمنزل، وتربية الأولاد. وهذا يتطلب منها جهداً مزدوجاً بينما ينصرف الرجل إلى متعته، ولهوه خارج المنزل دون الاعتراف بهذا الجهد أو الفضل. " فكثيراً ما تمر

على القرية فترى طائفة من الرجال على الوسائد يتسمون الهواء، ونساؤهم يقمن بالعمل في الأرض وإصلاح الزرع والضرع..."[1] النقطة الرابعة: تعرض النساء إلى ويلات الحروب، وأزماتها، والى أمراض المهن التي تمارسها في المعامل، كالسرطان والربو. إضافة إلى العمل الليلي وتحملها للأعمال الصعبة.

ب ـ الإحباط الاجتماعي: تتعرض المرأة نتيجة للظروف الاجتماعية كالعمل أو متابعة الدراسة إلى تأجيل الزواج مما يجعلها تصل إلى سن العنس، مما يجعل كثير من الشباب يرغبون بالزواج من فتيات غير عاملات، أو وصلن إلى درجات متدنية من التعليم . ناهيك على أن بعض الرجال لا يسمحون حتى للمرأة بالتصرف في راتبها، وهذا قمة الإجحاف. والمرأة راضية مرغمة على ذلك.

• و تضطر كثير من النساء العاملات على دفع أجور تعليم أبنائهن لامتناع أزواجهن عن دفع ذلك. لأسباب متعددة كتعدد الزوجات، أو الفقر، أو لاستغلال للمرأة• مما يؤدي إلى الطلاق فيما بعد.

ج ـ في الاضطهاد الجسدي: لقد تدخلت المعتقدات الدينية بدءاً من الوثنية وما تلاها في جسد المرأة و حركاتها، ومتطلباته. وعلى المرأة أن تؤمن بأن جسدها عورة وعليها أن تحافظ عليه وتستره، وحددت المسموح له والمحظور عليه• حتى أن أسطورة في الديانة اليهودية تقول: "إن المرأة أمر من الموت، قلبها أشراك، و يداها قيود، الصالح أمام الله ينجو منها، وأما الخاطئ فيؤخذ بها" [2].

---

١ ـ ماذا عن المرأة – د. نور الدين عتر – ص ١٤١.

٢ ـ المرأة هموم وتطلعات – منيرة حيدر – ص ٧٠.

وتدخلت القوانين العرفية وأصبح الزواج رغم قدسيته عقداً قانونياً بين طرفين، خالٍ من أي علاقة عاطفية. و زاد الطين بلّة، أن هناك نسوة ساهمن بعرض أجسادهن سلعاً رخيصة لسلوكيات خاطئة. أو عرضها على شاشات التلفزة و السينما للاتجار بها أو للدعاية.

حتى أن المجتمع المسكوني كان يبحث فيما إذا كانت المرأة (نفس) أم (شيطان). كما تدخلت الهيئات و القوانين في الإجهاض، والإنجاب، والحرية الجنسية. وكلها قضايا تتعلق بجسد المرأة. دون أن يؤخذ رأي المرأة فيها. علماً أن هناك ما يزيد عن ١٥ ٪ من النساء يتعرضن للإجهاض القسري من الأزواج. إضافة إلى حالات العنف الجسدي، والاغتصاب. حيث دلت الإحصائيات إلى أن ٣٠ ٪ من جرائم النساء، يرتكبها الزوج أو الأخ أو الابن. وأن ما يزيد عن (٣٠٠٠) امرأة يتعرضن للضرب سنوياً. وهذا العدد بدأ يقلّ تدريجياً مع تطور الحياة والتعلم.

د ـ العنف الأسري: العنف الأسري ظاهرة سلوكية وللأسف موجودة في مجتمعنا العربي. هذه الظاهرة تتصف بالإيذاء والإكراه، وتكونت نتيجة تغلب الجانب المادي على الجانب القيمي والديني في المجتمعات التي أصبحت تلهث وراء الجوانب المادية. فانتشر الاختلاس والاغتصاب والقتل والضرب...

هذا العنف يمارس من قبل الزوج على الزوجة والأبناء، وأحياناً يمارس من قبل الزوجة على الزوج والأبناء، وتارة يمارس من قبل بعض الأبناء على والديهم. وهذا يعود إلى أمور عدة من أهمها:

١ ـ الاغتراب: وهو ابتعاد رب الأسرة عن زوجته وأولاده، بحثاً وراء

الرزق أو جمع المال مما يؤدي إلى إهمال الأب كقائد وراع لشؤون بيته. في حين أصبحت المرأة تقلد الرجل بالاغتراب والإعارة والسفر وتهمل أبناءها. هذا الوضع المتسيب يغدق المال على الأبناء، ويفقد فيه التفاهم بين أفراد الأسرة.

٢ ـ إن الله الذي خلق المرأة من الرجل، وجعل كل منهما سكناً للآخر لقوله تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ فالأصل هو الدوام والاستقرار للأسرة. والاغتراب يؤدي إلى خلافات تعالج أمام الأبناء مما تنعكس سلباً على حياتهم الاجتماعية والنفسية، من فقدان لحب الوالدين أو عدم الشعور بواجباتهم الدينية والأخلاقية تجاه والديهم .ومن يطلع على دور المسنين المنتشرة في العواصم ليشاهد حالات يندى لها الجبين. فتذرف الدموع ألماً على قساوة هذه الحالات.

٣ ـ المغريات: إضافة إلى ما تقدم نجد أن الأبناء تحت تأثير نفسي قوي، من غياب لمراقبة الأب أو الأم، وتأثير سينمائي أو تلفزيوني لأفلام جنس وعنف وحب فاجر وخاصة في فترة الطفولة والمراهقة في عصر مفتوح لوسائل الانفتاح والأعلام.

٤ ـ البطالة: فالزوج الذي لا يعمل، أو أن دخله لا يتناسب مع مصروف أسرته يكون متوتراً لتقصيره في واجباته. فانفعالاته ستكون حتماً موجهة إلى النقطة الأضعف أمامه، فأما الزوجة أو الأولاد.

٥ ـ الجهل الأسري: فالجهل العلمي أو الديني أو كلاهما معاً يؤدي إلى عدم معرفة واجبات كل منهما للآخر. ومن الصحيح أنهما كوّنا

أسرة إلا أنهما يجهلان ماواجباتهما وما حقوقهما. فلو سار كل منهما حسب تعاليم الشرائع السماوية، لما حصل أي خلاف بينهما .ولو حصل أي خلاف لعادا إلى حكم من أهله وحكم من أهلها أو للقاضي لحل مشكلاتهما فالرسول(ص): "لاضرر ولا ضرار".

٦ ـ النشوز: والنشوز هو الترفع والعصيان والسير وراء الشيطان، وترك الزوجة لأسرتها وزوجها. هذا الوضع الخطر يقو د إما إلى الطلاق إن لم يفلح العلاج، والعلاج يبدأ بالموعظة الحسنة والحكمة لقوله تعالى: ﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ فإذا فشل الزوج في خطاب العقل، يبدأ بمرحلة ثانية وهي خطاب العاطفة (الهجر في الفراش)، فلا يجوز مقاطعتها أو ضربها، وإنما يوليها ظهره عند نومه. فإن أثّر ذلك فنِعمَ، وإن فشل الخطابين السابقين عندها سمح للزوج بالضرب الخفيف غير المبرح بعيداً عن الوجه لقوله تعالى: ﴿واضربوهن﴾. وذهب بعض العلماء إلى الاكتفاء بإعلان العقوبة والتهديد بها دون ممارستها.

هذا النوع من الضرب لا يعتبر عنفاً ولا يدخل في نطاقه، أما إذا زاد عن حده انقلب ضده. عندها يعبّر هذا التصرف عن جهل وتخلف للزوج ولا علاقة للدين بذلك.

ورغم ذلك، فالحالات السابقة موجودة فعلاً وبنسب مختلفة في مجتمعنا العربي. وما زالت المرأة خاصة، والأسرة عامة، تعاني منها .والتقدم العلمي والاجتماعي والثقافة الدينية كفيلة بأن تقلل من هذه الظاهرة.

ذ ـ الظلام العقائدي: المرأة ربما تكون أكثر انقياداً بالأساطير

الخرافية التي ينسجها الرجل حولها كي تبقى مقتنعة بموقعها التابع له.

فكثير من النساء تترك أموالها ليتصرف بها الرجل بحجة أنها قاصرة، أو عاطفية أكثر من اللازم، أو جاهلة، أو لعدم جواز المعتقدات بالاختلاط بالرجال. مما يؤدي بالتالي إلى سرقتها و نهبها. والقضايا في القصور العدلية تدل على ذلك.

النقطة الثانية: أن المرأة تزرع في ذهن ابنتها منذ الصغر أنها ضعيفة الجناح. وغير قادرة على مواجهة التحديات. وبعبارة أخرى (الناقة ناقة ولو هدّرت).

النقطة الثالثة: صادر الرجال حق التفكير عند المرأة. وفكروا نيابة عنها في أدق معتقداتها. فلا يجوز للمرأة أن تختار شريكها، و لا تحدد إنجابها للأطفال. أو حتى تتابع العلوم التي ترغب تعلمها أو الجامعات التي تختارها، أو حتى السفر خارج المدينة، أو خارج البلاد إلا بموافقة الزوج أو الولي إن كانت عزباء و لأسباب كثيرة.

النقطة الرابعة: و تتعلق بالانتماءات السياسية حيث لم تستطع المرأة العربية أن تجرأ على الانتماء السياسي. و أن ترفع صوتها بحرية، باستثناء بعض الأقطار التي سمحت أنظمتها بمشاركة المرأة في الانتماء السياسي، والتشريعي والتنفيذي كسورية، ومصر ولبنان والعراق وغيرها.

ذ ـ **الاضطهاد الدستوري**: وتتعلق بالقوانين الدستورية، حيث لم تجسد المساواة بشكلها الصحيح في الدساتير الوطنية والتشريعية. ولم تتخذ أية تدابير تحمي المرأة، بل وضعت قوانين وأعراف

وممارسات تحرّم على المرأة المشاركة في المجالس النيابية أو حق الترشيح أو الانتخاب وبشكل مطلق.

وأقطار أقرت دساتيرها مساواة المرأة بالرجل في كافة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بنسب محددة .وأقطار سمحت للمرأة حق الترشيح والانتخاب، إلا أنها لم تشجع إعلاميا على انتخاب المرأة . فبقيت المرأة تراوح مكانها. ومهما كانت النتيجة إلا أن المرأة اعتبرت ذلك مكسباً قد يعطي أُكله في المرات القادمة.

وأمام هذا الواقع المتلاطمة أمواجه بالاضطهاد والتعسف، وأمام هذه العواصف التي يثيرها الرجل والمرأة بعقليتهما المتخلفة، هل تستطيع المرأة الواعية أن تواجه هذه الرياح العاتية؟

ربما تستثير عواطف الرجل ليقف وقفة تأمل صادقة مع الذات. وربما تستعين بمنظمات غير حكومية، وحكومية قضائية وتشريعية، وربما بأشخاص آمنوا بعدالة قضية المرأة. وربما توظف وسائل إعلام. ومحاضرات ثقافية وفنية لخدمة الغرض ذاته. وإثبات ذاتها في مختلف المجالات الاجتماعية، وربما تعمل بجد ونشاط مع مثيلاتها لتنقذهن من مآسي الجهل والتخلف، وهي من أصعب الحالات.

فالفقر قد يكون سبباً لكن السبب الحقيقي في السياسات التي تجعل من المرأة ضحية الجهل، الذي يفوق جهل الرجل بكثير.

ومما يزيد من أعباء المرأة العربية في بعض الأقطار كفلسطين مثلاً، أنها تعيش تحت وطأة الاحتلال الصهيوني النازي العنصري، الذي لا يفرق بين طفل أو امرأة. إضافة إلى تحملها المزيد من الإحباط، والأعباء المنزلية، والإنسانية نتيجة استشهاد العديد من أبنائها ورجالها

في الكفاح المسلح و المقاومة، من أجل الاستقلال و الحرية. حيث لم يقتصر الكفاح على الرجل بل انطلقت المرأة الفلسطينية بعمليات استشهادية نوعيّة جنباً إلى جنب مع شقيقها ضد العدو المحتل، مؤمنة بأن الاستشهاد هو الطريق الوحيد الذي يمكن شعبها من العيش بحريّة.

هذه المرأة التي لم تأبه للعروض العصرية الحديثة بما فيها من مغريات، وأدركت أن كل مفسدات العصر هو نتاج الصهيونية العالمية، التي ترفع شعار: "إفساد كل ما هو فاسد"[1] كي لا تبقى في هذا الكون مجالاً للخير.

وهم الذين قال الله فيهم ﴿ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾[2]. هذه المرأة المؤمنة هي حتماً من ستشارك في صياغة المشروع النهضوي العربي، لأنها أبدت مشاركة عملية في تجربة العمل السياسي والعسكري.

ووقفت على أرضية مشتركة مع الرجل في الكفاح والنضال من أجل النهضة العربية المستقبلية.

فلم يعارضها الدين، بل على العكس تماماً، شجّعها، وأثنى عليها وأفتى بنضالها كبار رجال الدين. ولم يستطع الرجل أن يصادر فكرها التحرري. وبدلاً من أنها كانت ضعيفة الجناح، أصبحت مهابة الجناح. وتبدل نشيجها الواهن، إلى زغاريد مجلجلة.

---

١ ـ معظم دور الدعارة والمجلات الساقطة والقنوات الفضائيّة الجنسية والإباحية، تشرف عليها وتمولها الصهيونية العالمية.

٢ ـ سورة المائدة – آية ٦٤.

وأصبح عرسها يوم استشهادها، لم تتنكر هي لجنسها، ومسؤولياتها، بل كانت الناطقة المعبرة عن معاناتها بلغة جديدة يفهمها العالم. تربية لأبنائها وممارسة وسلوكاً. فبدلاً من تقليد الفتيات لموديلات الأزياء، أصبحن يتسابقن بالعمليات الاستشهادية. فتغير منظورها للحياة، ولم تعد تلك الإغراءات تجمح رغبتها في الوصول إلى هدفها .فوقف أمامها جبروت أعدائها مستغرباً لصلابتها.

هذا المنظور الذي لم تستطع المؤتمرات النسائية في أي من دول العالم أن تقرّه. أو أن تعبرّ عنه، أقرته المرأة الفلسطينية منهاجاً وممارسة، ليستنبط منه العالم قوانين تغير النظرة إلى المرأة العربية. لقد استطاعت هذه النساء أن يعدن إلى الذاكرة الأمهات الخالدات اللواتي ولدن العظام من قادة التاريخ.

وبالتالي فإن النساء إذا استطعن أن يشكلن قوة داخل هذا المجتمع، هذه القوة فاعلة ومشاركة، فإنها تثبت ذاتها، وبصورة جماعية. أما إذا بقيت المرأة تمثل أدواراً وتؤدي وظائف. فإنها ستبقى مكانها كشكل فارغ من مضمونه.و مظهراً قائمًا على الوهم، أشبه بربطة عنق جميلة حول رقبته. وبالتالي سيبقى الرجل متعصباً لقراره الذي يراه.

إن تفعيل دور المرأة العربية العاملة والأخذ بيدها، سيساعدها على تفجير طاقاتها، وتعزيز مكانتها في عالم متغير. وأن تواجه مستوعبة المتغيرات على اختلافها في ظل التحولات الاقتصادية والاجتماعيّة إقليميا ودولياً. إضافة إلى مازالت تواجهه من موروثات تحدّ من

نـشاطها. لكـن تحـرر المـرأة العربيـة القـائم علـى أسـس سـليمة ديمقراطية، هو مطلب اجتماعي إضافة لكونه ضرورة انسانية.

دراسة ميدانية

حول بعض المشكلات التي تعاني منها النساء في مجتمعنا العربي

أهداف الدراسة ومشكلتها:

تهدف هذه الدراسة إلى استقصاء أبرز مشكلات المرأة، ومحاولة تقديم اقتراحات بهدف مساعدة النساء على إتباع الطريق السليم بما يسهم في سعادتهن في الدنيا والآخرة.

وبالتالي فإن الدراسة تجيب على مجموعة من الأسئلة تتضمن :

١ - أبرز مشكلات المرأة في عصرنا الحاضر: الأمومة والعمل - الطفولة - الخلوة - الاختلاط - تعدد الزوجات - الأمانة الزوجية - الحجاب - العصمة - القوامة.

٢- التأكيد على صحة ما أوردناه في هذه الدراسة من معلومات.

أهمية الدراسة:

تعتبر هذه الدراسة استجابة ملحّة لحاجة المرأة. لأنها تساهم في تبصيرها بطبيعة المشكلة وحجمها، ونوعيتها، ومدى شيوعها، وأولويتها لتكون أساساً لاقتراح الخطط الكفيلة بمساعدتها على اكتساب كفاية مواجهتها ووضع الحلول لها. أو التقليل من أثرها.

مجتمع الدراسة:

نفذت الاستبانة على مجموعات من النساء اللواتي وصلن إلى درجة جيدة من التعليم . اطلعن خلال حياتهن على معلومات دينية وعلمية،

ومارسن أشكالاً متعددة من الحياة الاجتماعية والعمليّة في منظمات سياسيّة أو أهليّة أو نسائيّة أو اجتماعية متنوعة. وتتراوح أعمارهن بين (٢٠ سنة إلى ٥٥ سنة).

أداة الدراسة:

استبانة متدرجة اختيرت عباراتها من أمهات الكتب بهدف تحديد مشكلات المرأة . وتتضمن ثلاثين سؤالاً تنتظم في تسعة مجالات . وقد قدرت المشكلة على مقياس (نعم، لا) يرجى الإجابة على أسئلة هذه الإستبانة بصراحة ودون ذكر أي اسم . للفائدة المرجوة منها.[1]

ت	التبيان	نعم	لا
١.	هل وظيفة الأمومة مشابهة لعمل الرجل		
٢.	هل خلايا تركيب المرأة كخلايا تركيب الرجل		
٣.	هل أهلية المرأة للعمل مناسبة لطبيعة جسمها		
٤.	إن دور المرأة في تقدم الحضارة أسمى من دور الرجل		
٥.	هل تفضلين البقاء بالمنزل بدلاً من العمل خارجه		
	يؤدي هجر المرأة للبيت ،إلى المكتب أو العيادة لرقي في المجتمع		

١ ـ بعض عبارات الاستبانة اختيرت من كتاب (ماذا عن المرأة). د. عتر.

٦.	إن عمل المرأة أخطر بدعة تهدد الإنسان		
٧.	إن المهن العالية ترفع من مستوى المرأة		
٨.	هل تفرغ المرأة إلى وليدها نتيجة حالة نفسية		
٩.	هل الطفل بحاجة ماسة إلى أمه في الأشهر الأولى		
١٠.	الطفل لا يشعر ولا ينفعل بما حوله في الأشهر الأولى		
١١.	إن شراسة الطفل وحقده على المجتمع نتيجة حرمانه من حنان الأم		
١٢.	إن دور الحضانة في مجتمعنا أشبه بحظائر للأطفال		
١٣.	حب الطفولة يشكل عنصراً أساسياً في تغذية الطفل		
١٤.	لا يخلو رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان		
١٥.	يؤدي انصراف المرأة عن البيت إلى اضطراب الحياة الأسرية		
١٦.	يؤدي الاختلاط إلى فقدا ن فضيلة جوهرية في المرأة		
١٧.	يؤدي الاختلاط إلى إفشاء أسرار البيوت		
١٨.	إن الدين هو المسؤول عن ظاهرة تعدد الزوجات		

١٩.	إن ابتعاد الرجل عن الدين سبب في تعدد الزوجات		
٢٠.	هل تسعين إلى زواج زوجك بثانية عن الضرورة		
٢١.	هل التعدد مع العدالة يريح المرأة		
٢٢.	هل الزواج بثانية أفضل على المرأة من خيانتها		
٢٣.	هل حجاب المرأة يعيق تقدمها		
٢٤.	هل اللباس الشرعي يجعلها أكثر أمناً في المجتمع		
٢٥.	هل الشعوب المتخلفة كان اللباس سبب تخلفها		
٢٦.	هل الشعوب المتقدمة كان العري سبب تقدمها		
٢٧.	هل العصمة بيد المرأة أفضل بكثير من الرجل		
٢٨.	هل إنفاق المرأة على زوجها تجعله ضعيفاً أمامها		
٢٩.	هل إنفاق الزوج على زوجته يشعرها بالذل		

تحليل الدراسة:

لقد نُفذت الاستبانة السابقة على مجموعة من النساء اللواتي وصلن إلى درجة عالية من التعليم.

لقد أثبتت النتائج ما نسبته ١٠٠٪ على أن الرجل هو صاحب القوامة. فالرجل بمثابة الرأس والمرأة بمثابة الجسد. وعليه تحمل مسؤوليّة الرعاية والحماية. هذه المسؤوليّة لجزء منه وليس لخارج عنه ما دامت المرأة جزءاً من الرجل.

والقوامة في اللغة جاءت من (القوم) ومعناها: أن قام بعضهم لخدمة بعض، والقَوَام: ما يكفي الإنسان من القوت. ويقال هو قوام أهله:أي يقيم شأنهم،وجمعها قوّامون: أي القوي على القيام بالأمر. وكلمة (قوم) تطلق على الرجال فقط دون النساء، لقوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيراً منهن..﴾ وتخص كلمة (قوم) بالرجال لما فيها من الجهد والحركة، والقوامة بالأمر. ويقال قيّم المسجد: أي خادمه، وقيّم النادي: أي المسؤول عن متابعة شؤونه .وقيّم المرأة: زوجها .وأشارت نتائج الاستطلاع على إنفاق الزوج على زوجته لا يشعرها بالذل. لأن المرأة مقتنعة تماماً بأن الرجل هو المسؤول عن الإنفاق. علماً أنها لا تمانع في أن تشاركه تحمل الأعباء إن كانت موظفة أو عاملة .وقد بين الحوار مع النساء العاملات أن المرأة العاملة أحرص على الإنفاق من

المرأة غير العاملة، لكونها تشعر بالتعب للحصول على ما يردها من دخل مادي. لذا نراها تنظر إلى مثيلاتها من غير العاملات بنوع من التمني، لو أنها لم تعمل. وتعبّر عن تمنيها بالظروف الاقتصادية الصعبة التي أجبرتها على العمل .وبصورة عامة، لا تختلف قوامة الرجل عن قوامة المرأة. فلكل منهما وظيفته ومهامه. فالمرأة قوّامة في بيت زوجها، فهي وعاء له، راعية لأبنائه، حافظة لأسراره، مؤتمنة على ماله، وهي الراعية والمدبرة، وهي الطمأنينة والسكن له بعد عودته من عمله. وهي الصدر الذي يحتضنه عندما تلمّ به المشكلات، لتجده طفلاً وديعا تحنو عليه بجناحيّها بحب وحنان. لقوله تعالى: ﴿وجعل بينكم مودة ورحمة﴾.

﴿فالرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ النساء ٣٤.

فإن تبدلت المهام لكل منهما، تبدلت الواجبات، واختل نظام الحياة. وانفرط عقد الوثاق والمحبة، وسادت الآراء، وعمل كل واحد على هواه.

أضف إلى ذلك أن المرأة لم تفكر بأن عملها يعطل شاباً عن العمل. لأنها تعتبر أن حقها في المساواة والعيش بكرامة هو الذي يسمح لها بالعمل. بل وتفكر أن عملها هو ضمان لمستقبلها من عاديات الزمن .وقد أشارت نتائج الاستبانة على ما نسبته ٦٠٪ من النساء يشعرن أن إنفاق الزوجة على زوجها العاطل عن العمل يجعله ضعيفاً أمامها.

وأثبتت نتائج السؤال الثالث والثامن ما نسبته ٧٠٪ من أن أهلية

المرأة وتسلمها المهن والمناصب العالية يرفع من مستواها. فقد خطت المرأة خطوات سريعة في التعليم. وتبوأت المناصب المرموقة في الجامعات ووزارات الدول والقضاء والمجالس التشريعية في حين بدأ يتراجع نسبياً دور الذكور في التعليم، للأسباب اقتصادية في معظمها. ولو نظرنا إلى إحصائيات وزارة التربية في أي قطر، لاثني عشرة سنة خلت لتلاميذ الصف الأول الابتدائي، وقورنت مع أعداد طلاب الثانوية العامة التي يجب أن يكونوا هم أنفسهم ذكورا وإناثا لوجدنا نسبة التسرب المرتفعة جداً بين الذكور تفوق أعداد الإناث بعشرات الآلاف.

وحول سؤال تشابه خلايا تركيب المرأة بخلايا الرجل؟ فقد أعطت النتائج ما نسبته ٥٠٪. والحقيقة أن المرأة والرجل ذو تركيبين يختلفان في خلاياهما الواحد عن الآخر. وإنما يكملان بعضهما البعض. ويقول الأطباء: أن كل خلية في جسم الإنسان تحمل جنسه. عصبيا، ونفسياً وغريزياً وذهنياً، فمساحة التذكر عند الرجل أكبر من المرأة في الدماغ. مما يجعل المرأة عرضة للنسيان في بعض الأوقات، وخاصة في الأمور الماديّة. إذ جعل المشّرع شهادة امرأتين برجل واحد في هذا المجال. لتذكّر إحداهما الأخرى . وبما أن المرأة تبتعد في عملها عن التعامل بالأمور المادية، بشكل عام إلى أعمال أخرى. فالشهادة هنا اختصاص لا انتقاص من قيمة المرأة. لأن تركيزها يكون في أمور أخرى. وربما لهذه الأسباب التي نجهلها كانت حكمة الشارع في شهادة اثنتين في بعض الأمور، وليس في كلها .وهناك مجالات كثيرة تقبل فيها شهادة المرأة الواحدة، كالرضاعة والولادة مثلاً.

فهل تستطيع قوة في العالم أن تنفي فطرة الأمومة عن المرأة ؟ إنها

ترنو إليها منذ نعومة أظفارها، وكم من امرأة فقدت بصرها من أجل أبنائها. إنها سنّة الله في خلقه لا مبدل لها وعلى المرأة أن تتعامل مع هذه الوظيفة بنوع من التقديس.

وأثبتت النتائج للسؤال الأول: (هل وظيفة الأمومة مشابهة لعمل الرجل؟) ما نسبته ٦٢٪بالإيجاب. والحقيقة أنهما لا يتساويان ولا يتشابهان. فالمرأة التي تهز السرير بيمينها، تهز العالم بيسارها. فهي التي تعدّ الرجال وهم الذين يبنون التاريخ ويسطرونه. ولولا فضل المرأة لكانت الدنيا يباباً. ألم يقل رسول الله (ص) "الجنة تحت أقدام الأمهات". فلها الدور الأسمى الأكثر في تقدم الحضارة . التي هي ليست حكراً على الرجال. فكم من امرأة وامرأة كان لهن الدور الفاعل والضوء الساطع في تقدم الحضارة. وكم من رجل نبغ بفضل امرأة هيأت له ظروف النجاح. ألم يقل الحكماء: وراء كل عظيم امرأة!

أما الأسئلة التي طرحت حول تربية الطفل ورعايته من قبل الأم. فأكدت نتائج الاستبانة بنسبة ٩٥٪، أن الأم حاجتها إلى وليدها كحاجتها إلى نفسها. فهي تراه قطعة منها. وهذا ما أكده العلماء أن الطفل يتعلق بأمه منذ الأسابيع الأولى، فيعرف صوتها، ويشم رائحتها، ويحس بأنفاسها، ويشعر بدفء صدرها. فيميزها عن غيرها من النساء، أو حتى عن والده. وهو أكثر طواعية لها من والده، وهي أكثر صبراً على تصرفاته، وأكثر حساسية لصحته. فيتأثر بطعامها، وبأعصابها، بصحتها، ونفسيتها. وصدق القائل: "أولادنا أكبادنا تمشي على الأرض".

وأكدت نتائج الدراسة أن نسبة ٩٥٪ من الأطفال الذين ينحرفون عن سلوك المجتمع السوي ناتج عن حرمان الطفل من حنان أمه وعطف أبيه. ونتيجة لذلك تشتد عنده صفات العدوانية والحقد على الآخرين من أقرانه، ويصبح كالشجيرة البرية تمتد أغصانها في كل اتجاه. فترتمي على شجيرة هنا وشجيرة هناك. يكثر حولها الشوك والأعشاب الضارة، مما تصبح ملجأ للحشرات والزواحف السامة. وهكذا يميل الطفل عن جادة الصواب.

ولا فرق بين من لا يملك عصا، ومن يسند عصاه إلى الجدار. فكلاهما لا يمسك العصا بيده. وبالتالي فلا فرق بين من فقد حنان أمه بوفاة أو طلاق، وبين من تركته أمه وديعة بأيدي نساء أخريات .فربما يجد من يعامله معاملة إنسانية. وفي أكثر الأحيان يتعرض لمواقف هو أدنى قدرة على مواجهتها. ولا يدرك هذا الكلام جيداً إلا من عاش تحت رحمة زوجة أب.

وهذا الحديث يقودنا إلى دور الحضانة ودورها في رعاية الأطفال. حيث أن لهذه الدور أهمية في تربية الطفل. إذ يجب أن تقوم على نظريات تربوية وسكيولوجية تتناسب مع أعمار الأطفال .وبما أن هذه الدور في مجتمعنا العربي تقوم على ناحية تجارية، وتعاني من نقص في الكادر التربوي المتخصص برعاية الطفل. أو الرعاية الصحية المناسبة. أو مربيات متخصصات في علم النفس التربوي للأطفال أو معلمات لا يقدمن أنماطاً سلوكية حديثة. فإن على الجهات الرسمية أن ترعى هذه الدور بجدية تفوق رعايتها للمدارس الابتدائية.

وقد أبدت النساء تخوفها من هذه الدور رغم اضطرارها إلى إيداع

أطفالها فيها. إذ دلت نتائج الدراسة على ما نسبته ٧٠٪ في أن إدخال الأطفال في هذه الدور، هو ظلم بحق الطفولة. وعلى الأسر أن تعيد النظر فيه. لأنها تساعد على هدم جيل، إن لم نقل تهدمه، لعدم توفر الظروف المناسبة لمثل هذه الدور. التي أوجدت أصلاً نتاج المؤامرة التي حيكت حول النساء في العمل الخارجي لبيوتهن. حيث تركن ما فطرهن الله عليه من حمل وتربية وبناء جيل. إلى عمل في بعض الوظائف يجني لهن حفنة من مال.

ولا يعني هذا أننا ننكر دور المرأة في العمل. ولكن بما لا يفكك مجتمع الأسرة ويشلّ الحياة الاجتماعية فيها. من هجر للمنزل طوال النهار، والسهر طوال الليل. تحت شعار العمل والتقدم والعلاقات الخارجية، ونساء المجتمع، والعبارات والألفاظ الجاذبة. وترك بقية أفراد الأسرة تحت رعاية وإشراف الخدم.

ومع أن النساء يدركن أخطار ذلك. فإن ما نسبته ١٠٪ منهن يعتقدن أن ذلك لا يؤثر على كيان الأسرة .وهذا خطأ فادح. إذ يترتب عليه ما حذر منه الرسول الكريم (ص) "لا يخلو رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان " إذ دلت الدراسة على صحة ذلك بنسبة ٩٥٪ فلا خلوة بين رجل غير محرم وامرأة. فالشيطان يوسوس بالنفس إن لم يكن لفظاً أو نظراً أو ملامسة. فالعمل الخارجي يجبر بعض النساء في كثير من الأحيان إلى الخلوة بأحد الرجال. (والعياذ بالله أن نسيء الظن بأحد) إلا أن هذه الخلوات إ ن تكررت، وتشعب الحديث، وتغامزت العيون. فعّل الشيطان عمله، عندها تفقد المرأة فضيلة جوهرية وهو " الحياء" والذي يعدّ شعبة من شعب الإيمان، وسلاحاً

تتحلى به.

فلا تهاب المرأة الرجل أو تخجل منه. بل تبدأ بالتطاول مقلدة الرجال لباساً وسلوكاً، ومقارعة، وممازحة، وتزيد عنهم عرياً. ظناً منها بأن تصرفها يرفع من مستواها الاجتماعي بينهم. وهذا ما يقودها إلى نتيجة لم تكن تحسب حسابها، وهو بحث الزوج عن زوجة أخرى بديلة تقبل بطاعته.

بينما أشارت الدراسة في الاستبانة على أن النساء بنسبة ٦٠٪ يحملّن الأديان مسؤولية التعدد. فالأديان أباحت التعدد ولم تلزم أحداً به. وجاء الإسلام ليحدد عدد الزوجات والزم بالعدل بينهن، بل نصح المسلمون بالواحدة لقوله تعالى في كتابه الكريم ﴿فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة﴾ وقول رسول الله (ص): "إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط."[١]

وأبدين ما نسبته ٧٪ من النساء استعدادهن السعي لزواج أزواجهن بثانية عند شعورهن بضرورة هذا الزواج. لمرض يمنعهن عن القيام بواجباتهن الزوجية، أو لعقم قدر الله عليهن. شريطة أن لا تتأثر مصالحها، وأن تبقى على ذمة زوجها. بينما أبدت ما نسبته ٧٠٪ موافقتهن على زواج أزواجهن على ألا يخونهن.

هذه الموافقة المكرهة دلت عليها نتيجة السؤال الذي يقول: هل التعدد مع العدالة يريح الزوجة؟ فلم ترد إجابة واحدة تقول (نعم) فوجود امرأة أخرى مرفوضة، مهما كانت عدالة الرجل، ومهما كفلتها الأديان، لا تريح المرأة. فحب التملك لا يوازي العدالة، وما هو

---

١ ـ أخرجه أصحاب السنن.

لك، خير من أن يشاطرك أحد فيه.

بينما نجد نساء الغرب يطالبن بالتعدد حفاظاً عليهن من التشرد. إذ تعيش المرأة سنوات مع صديقها دون أي عقد أو رابط! فإن ملّ منها تركها إلى أخرى لتتشرد في الشوارع تبحث عن ما يسمى بصديق جديد. وكذلك الرجال ملّوا التنقل، وأدركوا أن نظام التعدد هو النظام السليم الذي يحافظ على الأخلاق والفضيلة والأدب والسلالة كما حدث بمطالبة الألمان لكنيستهم.

وأثبتت الدراسة أن ما نسبته ٩٣٪ من النساء ترغب بأن تكون العصمة بيد الرجل.

النتائج:

لقد أحدثت الاستبانة جدلاً بين النساء في موقع العمل الواحد .حيث نوقشت بجدية وصدق. وكان يتطلب وضع الإشارة المناسبة التفكير دقائق عدّة للوصول إلى القناعة بموضوعية.

ولا أكتم القارئ أنني عندما فرّغت الاستبانة شعرت أن المرأة مازالت تسير على الطريق المستقيم. وأنها بصورة عامة ما زالت متقيدة بالضوابط رغم كل الظروف والعقبات والوسائل التي تشجّعها على الانحراف.

ونتيجة الحوار والمناقشة كان رأيهن يدور حول النقاط التالية:

١ ـ عندما تكون العصمة بيد المرأة لا يشعر الزوج والزوجة بالراحة النفسية، أو بالأمان.

٢ ـ أن المرأة سريعة العاطفة، متقلبة الأهواء. فأي مشكلة بينها وبين زوجها قد لاتملك نفسها، فتتهاون ما في يدها من عصمة، فتودي

بحياة أسرتها إلى الهاوية. عندها لا ينفع الندم.

٣ ـ الأعباء المترتبة على اتخاذ القرار. من صداق وضرر ونفقة وأثاث بيت، وأكثر من هذا وذاك سمعتها بين الناس.

أما ما يخص الحجاب ولباس المرأة فقد بينت الاستبانة وبالإجماع أن الحجاب لا يعيق تقدم المرأة، أو يجعلها متخلفة. فالتخلف والتقدم يتبع التربية والأخلاق والعلم وكما قال الشاعر:

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب

فلا رابط بين الحجاب أو الجلباب وبين التخلف. بل على العكس تماماً. فان اللباس الشرعي الساتر لجسد المرأة غير المتشبه بالرجال. يجعل المرأة أكثر أمناً من تقريعها بألفاظ قبيحة من قبل المستهترين بأعراض الناس.

أما الألبسة شبه العارية أو القصيرة إلى ما فوق الركبة، أو تحتها فإنها تذهب الحياء. وتجعل المرأة لقمة سائغة في أفواه وحوش البشر تضيّع وقتها، وتكشف سترها، وتفقد حياءها، وتغضب وجه ربها، وتكسب الآخرين إثمها .ولو كان العري سبباً في التقدم، لكان الله أدرى بعباده .

وفي استطلاع آخر لمجلة (New Woman) الأمريكية تقول: (أن علماء النفس يقولون: أن المرأة العصرية أصبحت كارهة للرجل بعد أن أصبحت أكثر استقلاليّة وقوة، وتشير نتائج الاستطلاع إلى أن ٤١٪ من المشاركات فيه اتخذن موقفاً سلبياً من الجنس الخشن. كما أن ٦٢٪منهن أعربن عن عدم احترامهن له.

ويقول العلماء: أن هذا الموقف في غاية التطرف ويضر بالمرأة

نفسها، وأن الدعوات (اللعينة) إلى تلك المساواة تضيق أفق تفكيرها وتغير نظرتها للأمور. ذلك أن تجاهل المرأة للرجل ولدوره الأقوى في العلاقات المتبادلة يؤدي إلى فقدانها لأهم الانفعالات في حياة البشر. وفي سعيها لبلوغ الاستقلالية المطلقة تغفل المرأة عن مواقع الضعف لديها، من حيث المشاعر الإنسانية والتكوين الجمالي. لان المساواة ستجرها إلى تحمل ما لا طاقة لها به ولا ينسجم مع طبيعتها. إضافة إلى أن النساء اللواتي يتمتعن بسلطة مفرطة تزرع الذعر والخوف لدى الرجال الذين يصابون بالحيرة في كيفية التصرف حيالها. ولذا فإنهم يتجنبونها ويتهربون منها، لأنهم لا يحبون ولا يرغبون في أن يعكفوا باستمرار على إثبات رجولتهم أمام النصف الآخر).

نظرة ونصيحة في كلمة

(إنّ مأساة إعراض كثير من المسلمين عن إسلامهم لا تشكل خسارة تحيق بالإسلام، وإنما هي خسارة كبرى تحيق بهم أنفسهم، فالحصن الّذي يتخلّى عنه أصحابُه يظلُّ حصيناً، ولا بدَّ أن يأوي إليه آخرون، وإنّما تحدقُ بأولئك الّذين تخلُّوا عنه)

أ . د. محمد سعيد رمضان البوطي

تتصدر ظاهرة النظرة السوداوية من المرأة إلى الرجل، إلى أنها قائمة على سلطة الرجل، وتبعية المرأة له في كل تصرفاتها وسلوكها. وهي تعمل ساعية إلى الخلاص من هذا المستعمر الذي يجعلها تعيش حياة عبودية، لتحقق اعتقاداً منها الحرية والمساواة الكاملة معه.

هذه المعارضة الكونية التي تعتقد أن التقاليد الاجتماعية، وما خلفت من موروثات، ما هي إلا أنظمة صنعها الرجل ليكبت بها المرأة. وهي تتهم الدين في كثير من الأحيان في تحيزه لصالح الرجل، كالعصمة والطلاق والميراث والشهادة وغيرها. مما يدعي كثير من النساء إلى التمرد على أزواجهن، وخلخلة التعاون الاجتماعي الإنساني القائم بينهما على الطاعة والمساواة والوفاق لقوله تعالى: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾. ولا تكتفي بذلك، بل تتخذ مما يردده المضللون من الرجال شعارات لها مما يحقق لهم مصالحهم. معتقدة أنهم يتحدثون لصالحها. فتسارع دون تمحيص باستخدام أسلحتها لتشهرها على الرجال كافة.

ولو تفكرت المرأة بروية في مؤتمراتها الحديثة. وراجعت التغذية الراجعة لها، وما هو نتاج هذه المؤتمرات؟ وما المواد التي نوقشت فيها ؟ فنرى على سبيل المثال لا الحصر أن النقاط كانت كما يلي من خلال العودة إلى كراسات المؤتمرات: (صحة الإنجاب ـ صحة الجنس ـ تعديل نسبة وفيات الأطفال ـ موانع الحمل ـ الإجهاض ـ الزواج

والطلاق ـ العنف ضد المرأة ـ التحديات التي تواجه المرأة ـ حقوق النساء الريفيات ـ التعليم... إلخ).

وفي الوقت نفسه تتحدر بجسدها عارضة إياه دون ضوابط. مما يعزز عند الرجل نظرته الغريزية. وتبقى معظم مقررات المؤتمرات حبراً على ورق.

أيتها الفاضلة:

كل ما تبحثين عنه تجدينه في كتاب الله وسنة رسوله. وقد ضمن الله لك حقاً لايضمنه لك البشر. ولن تكوني أرحم من الخالق الذي خلق البشر بعباده وخلقه. إذ جعل لكل من خلقه فطرة، فمهما وسوس الشيطان لقوله تعالى على لسان الشيطان: ﴿ولأمرنهم فليغيرن خلق الله﴾[1] أو عدّل المخلوق أو غيّر في سلوكه أو سير حياته، فإنه لا يستطيع أن يغيّر ما فطر الله الخلق عليه .فالمرأة خلقت كما خلق الرجل. ولكل منهما وظيفة محددة لقوله تعالى : ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.[2]

فعودي أيتها الفاضلة، إلى الهدى بدلاً من الهوى. واتبعي أوامر الله عز وجل، واجعلي قلبك مملوءاً بحب الله لا يعلو عليه حب .وهاهي ابنة الفضيل بن عياض تعلّم أباها درساً في حب الله بعبارات لطيفة. فتقول لأبيها وهو يداعب ابنها الصغير: أتحبه يا أبتاه؟ قال: نعم أحبه، ولا تقر عيني إلا بمشاهدته! قالت له: ما هكذا ظننتك تقول يا أبي. وما ظننت

---

١ ـ سورة النساء ـ آية ـ ١١٩.

٢ ـ سورة الذاريات ـ آية ٥٦.

أن يكون في قلبك غير الله. قال الفضيل: وماذا أقول يا بنيّة؟ قالت: الحب لله والرحمة للأولاد.

وها هي رابعة العدوية تناجي الله قائلة:

أي رب. إن كنت عبدتك من أجل جنتك فاحرمنيها. وإن كنت عبدتك اتقاء نارك فاجعلني من أهلها. وإن كنت عبدتك لأنك الله، فأكرمني بلذة النظر إلى وجهك الكريم. ثم أنشدت:

أحبك حبين حب الهوى	وحب لأنك أهل لذاك
فأما الذي هو حب الهوى	فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له	فكشفك لي الحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا، وذا لي	ولكن لك الحمد، في ذا وذاك

فكوني أيتها الفاضلة من المراقبات لأنفسهن في حب الله، واعلمي أن الله يراك دون أن تريه، واتقي الله في كل أمر، فان خير الزاد التقوى. ولك في الفتاة التي أمرتها أمها بخلط اللبن، في زمن عمر بن الخطاب. فقالت لأمها: لقد نهانا عن ذلك عمر. فقالت لها أمها: وهل يرانا عمر؟ فقالت الفتاة بلسان التقوى: إن لم يرنا عمر فإن رب عمر يرانا[1].

هذه الفتاة المسلمة هي التي ما زالت تنجب فتيات فلسطين. لتحزم وسطها بأحزمة ناسفة لتدك بها أعناق من تخول لهم أنفسهم بتدنيس أعراض المسلمين.

---

١ - حديث للزميل محمد خير موسى.

تلك حفيدات الخنساء اللاتي وصفهن الرسول الكريم (ص) بالقوارير. واللاتي تربين في مدرسة النبوة. فقدسن الشهادة وتوجن بعزة النفس.

فأمس الخنساء ليس بالبعيد، فهاهي الأم تزغرد عند سماعها خبر استشهاد ولدها. وتودع ابنتها للشهادة، كما كانت تودعها لليلة زفافها في زمن كثر فيه الذكور، وقلت فيه الحيلة والعتاد والنصرة، ولكن لم تقلّ فيه الرجولة. لتعلّم الناس أجمع، أن حب الله والوطن فوق كل حب.

تلك النساء اللاتي تنحني لهن قامات الرجال العظام، إجلالا وتقديراً. عزة وفخراً وكرامة. تلك النساء اللاتي تصبح كل بنود المؤتمرات في عينيها سراباً لا وجود له. تلك النساء اللاتي تصغر الدنيا في عيونهن، فلا الجمال، ولا الرجال، ولا السعادة، ولا الهناء، ولا الثياب، ولا السخاء غايتهن.

فاختاري أيتها الفاضلة، - بعد كل هذا - مع من تكوني؟

مع أحكام من في الأرض؟... أو مع أحكام خالق الأرض والسماء؟

والله من وراء القصد.

مصادر البحث

- القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة.
- الكتاب المقدس – العهد القديم.- الأناجيل.
- قصة الحضارة من الجزء١الى الجزء ١٠.
- تاريخ الإسلام ج١- ج٢- ج٤.
- إسلام بلا مذاهب (د٠ مصطفى الشكعة).
- الإسلام عقيدة وشريعة. (للشيخ شلتوت).
- ماذا عن المرأة. (د٠ نور الدين عتر).
- المرأة هموم وتطلعات (الباحثة منيرة حيدر).
- نساء حول الرسول. (د٠ بسام محمد حمامي).
- تاريخ الطبري ج ٢.
- المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني.
- د٠ محمد سعيد رمضان البوطي.
- أحاديث للدكتور يوسف القرضاوي.
- صحيح الجامع للإمام أحمد.
- المجلات : المعرفة العدد ٣٢٦ ـ مجلة المناضل ـ مجلة العربي.
- رواة الأحاديث النبوية الشريفة ـ الترمذي ـ البخاري ـ الإمام أحمد ـ أصحاب السنن.

- The Spirit of Islam.

- د. الشيخ - سامي - مفهوم الإنسان في فكر لوثر وكالفن
- المرأة في نظر الكنيسة - جبور أسبيرو.
- المرأة في اللاهوت الكنسي - مجلس كنائس الشرق الأوسط.
- تحفة العروس - محمود مهدي الاستانبولي ط٥.
- المرأة في القرآن - عباس محمود العقاد - ط -القاهرة.
- الدليل الرعائي إلى الأسرار - للروم الأرثوذكس.
- مقارنة الأديان - أديان الهند الكبرى - د. أحمد شلبي.

المحتوى

تقديم.. ٧

مكانة المرأة في العصور القديمة.. ١١

مكانة المرأة عند الشعوب البدائية...................................... ١٩

الأخلاق والمرأة.. ٢٥

مكانة المرأة في المعتقدات والحضارات................................ ٢٩

في عهد الفراعنة شرائع الفارسيّة.................................... ٣٢

في الشريعة السومرية.. ٣٤

عند الفينيقيين... ٣٥

عند البابليين.. ٣٥

عند الأثينيين.. ٣٨

المرأة عند العرب... ٣٩

المرأة عند الغرب... ٤١

المرأة في المتقدات الهندية(الهندوسية والبوذية).................... ٤٢

النظرة إلى الجمال عند المرأة.. ٤٥

في وادي النيل.. ٤٧

عند السومريين... ٤٨

عند الإغريق والفرس.. ٤٩

في إفريقيا.. ٤٩

في وادي الرافدين... ٥٠

عند الرومان... ٥١

عند العرب... ٥١

الزواج ومكانة الأطفال عند بعض الشعوب........................... ٥٣

النظرة إلى تعدد الزوجات.. ٦٥

مقدمة... ٦٧

في آسيا.. ٦٨

عند الرومان... ٦٨

في الأديان السماوية.. ٦٩

اليهودية ٦٩

المسيحية.. ٧٠

الإسلام.. ٧٢

مكانة المرأة في الديانات السماوية................................. ٧٥

في اليهودية... ٧٧

في المسيحية.. ٨٣

المرأة في بيت الإسلام... ٩٩

مقدمة... ١٠١

مكانة المرأة في الإسلام.. ١٠٥

المساواة في الطاعة.. ١٠٧

في القصاص.. ١٠٨

في طلب العلم وإتيان المساجد...................................... ١٠٩

في الحقوق.. ١١٢

الزواج... ١١٣

الطلاق... ١١٨

وعي المرأة.. ١٢١

في مجال التربية.. ١٢٢
حق الميراث.. ١٢٤
شرف الجهاد.. ١٢٦
الحب الإنساني في الإسلام... ١٢٨
حرية المرأة.. ١٣٠
الحرية السياسية... ١٣٤
الحجاب.. ١٣٨
العمل... ١٤٤
واقع المرأة في المجتمع العربي الراهن.. ١٤٧
دراسة ميدانية حول بعض المشكلات.. ١٦٥
نظرة ونصيحة في كلمة.. ١٨١
مصادر البحث... ١٨٧
المحتوى.. ١٨٩

ABEDALM ALIK ABO RAKTE

WOMAN BETWEEN THE LAND AND SKY

لقد جمعت باحثا على هذه الصفحات مكانة المرأة في العصور السالفة منذ العصور الحجرية إلى عصورنا الحالية بنوع من الإيجاز متطرقا إلى مكانة المرأة في تلك العصور البدائية والقديمة –والنظرة إلى الجمال في عدد من الحضارات – والنظرة إلى تعدد الزوجات في الكتب السماوية .وجعلت فصلا لمكانة المرأة في الديانات السماوية ، واخر لمكانة المرأة في الإسلام بنوع من التفصيل . حيث وجدت أن المرأة في الإسلام قد منحت ما تستحق من التكريم والمساواة بالرجل ، وبغض النظر عما يتصرفه بعض الناس الذين انحرفوا بأهوائهم في معاملة النساء تحت ستار الدين . فالدين واضح للجميع وما ليس من الدين لا يجوز أن يعلَق على مشجب الدين .

كما خصصت بحثاً لواقع المرأة في المجتمع العربي ، متضمناً ما تعانيه المرأة تنموياً وجسدياً وعقائدياً .ثم أتبعته باستبانة حول بعض المشكلات التي تعانيها المرأة في دراسة وتحليل . مختتماً البحث بنظرة ونصائح للمرأة لتقَر عينيها بالفضائل التي منحها الله تعالى لها .

نينوى
للدراسات
والنشر
والتوزيع

٢٥٠ ل.س
$ 8